العتبة العلوية المقدسة
IMAM ALI HOLY SHRINE

السنة الثامنة عشرة العدد 188
شهر رمضان 1446هـ - 2025م

الولاية

مجلة علمية ثقافية شهرية تصدر عن العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية - وحدة مجلة الولاية

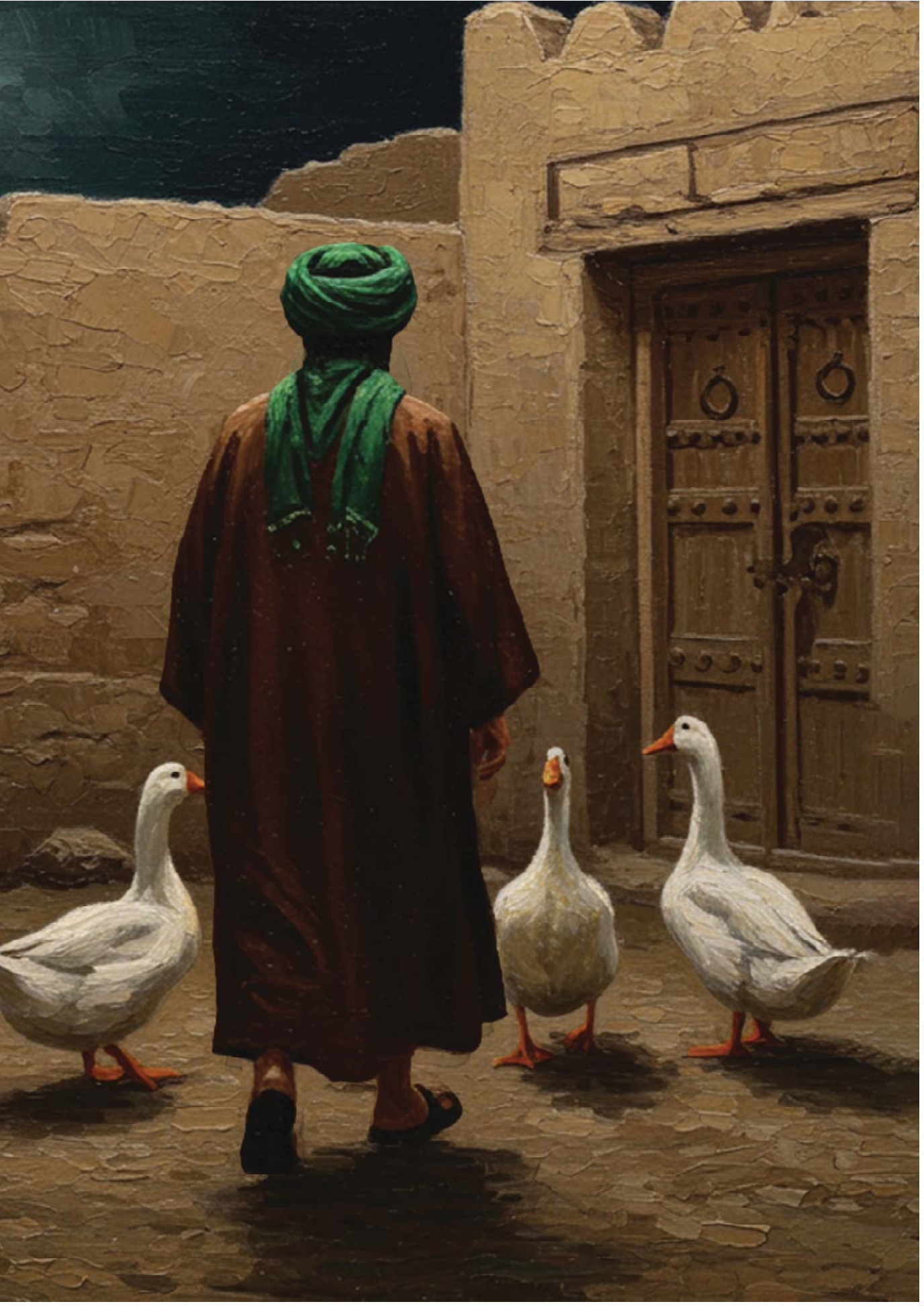

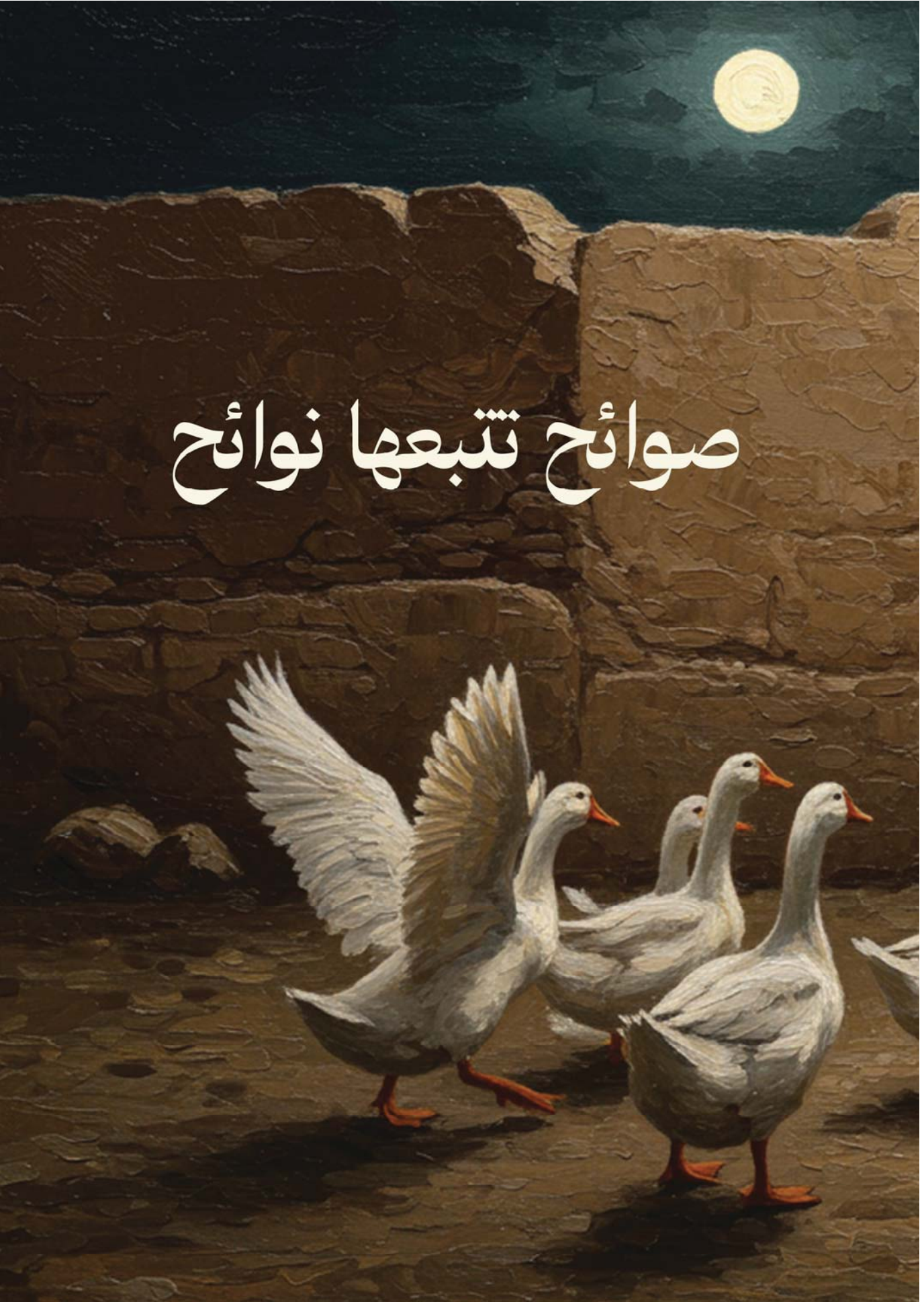
صوائح تتبعها نوائح

المشرف العـــام	السيـد عيسى الخرسـان
رئيس التحريـــر	د. محسن عبد العظيم الخاقاني
مدير التحريـــر	د. حســين فاضل الحكيـم
سكرتير التحريـــر	هشـام أمـوري السمـاك
المحـــــررون	هاشم محـمد البـاججي حيـــدر رزاق الكعـبي عبد الحسن هادي الشافعي حمود حسـين الصـراف رياض مجيد الخـزرجـــي
التصحيح اللغـوي	صـــلاح مهـدي الحلـــو
السلامة الفكـرية	نبـأ محســن الحمـامي سمير سليـــم الحمـــزه مهند طـــاهر الخاقـــاني
تصمـــيم الغلاف وتوليد الصـــور	حســين عـلاء التميـمي
التصميم والاخـراج	صبـــاح حســن الدجيلي احمد مكي جعفر القرشـــي
الاعمدة والبوسترات	ضيـاء نسيـم حرز الدين

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد (1121) للعـــام 2008م
رقـــم الاعتمـــاد فـــي نقابـة الصحفييـــن العراقـيين (744)
alwelayh.com - info@alwelayh.com - 07700553150

"فزتُ وربِّ الكعبة"

السيد عيسى الخرسان
الأمين العام

إذا حاولنا تمرير هذه الكلمات الثلاث على موشور التحليل النفسي والعقلي والعقائدي بلحاظ الموقف والدلالة، ستنتشر في الأرجاء نورانية قائلها وطهرانيته، فلقد كان قسمًا توحيديًا وتوكيديًا يرشحُ من نفسٍ تأصّلت فيها كلّ القيم الرسالية التي جاء بها رسول الله محمّد ﷺ.

إنهُ يحيلنا الى الله تعالى حتى في تلك اللحظة المشحونة بالغيب! فلقد كان قسمهُ يشي بأنّهُ عاش هذهِ اللحظة الاستشهادية الهائلة منذ يوم ولادته!

إنهُ يقولُ لنا عبر كل هذهِ السنين، بأنَّ هذهِ الدنيا كلّها خسارة ما لم نقرضها في ذات الله تعالى، لقد كان روحي فداه على حافة الآخرة، ينظرُ الى الدنيا نظرة الذي مات قبل موته، ورأى ما يراه أهل الآخرة بعين الموقن الباصر، فأقام قيامته بنفسه، وكان قادمًا من الآخرة الى الدنيا، ولم يكن ذاهبًا من الدنيا الآخرة.

"فزتُ وربِّ الكعبة".

لقد وحّد الله تعالى وأكّد توحيده في لحظته تلك التي تساوي كل أعمار البشر منذ آدم وحتى آخر فردٍ من أبنائه في هذه الدنيا، لقد فاز في حربهِ على تأويل نبوة رسول الله ﷺ بهذه السِّيرة وهذا السَّمت، وفاز في إمامة القلوب والألباب بما جرت على يديه من فيوضات علمهِ وينابيع حكمته، وفاز وهو يمثّل عدل الله تعالى في أن يكون خاتمه كمبدئه، وفاز بمعادهِ الذي توّجته الشهادة والرجوع الى جبّار السموات والأرض بخير رجعى.

فكان قسمهُ ذاك تأصيلًا لأصول الدين الذي قضى عمره الشريف برعايته والمنافحة عنه.

"فزتُ وربِّ الكعبة".

لقد كانت شخصيته المتفردة مصداقًا لكلِّ المُثُل السماوية التي غرسها الله تعالى في نفوس الأنبياء والصدّيقين والخيّرين، فكانت ذاتياته كلّها من سنخٍ واحد، مبعثها الارتباط بالله سبحانه وتعالى.

٨
قـــــــاف

١٦
حتـى يتفقهـــوا

٢٢
مع الحـــــق

٣٠
بلسانٍ عليٍّ مبيـن

٣٨
الصراط المستقيم

٥٦
لســـان الأمـــة

٦٤
قُـــرة الأعـــين

إنّ مؤتمر الخوارج قد انعقد في مكة أيّام موســم الحجّ وهي حافلة ـ مِن دون شك ـ بالكثيرين مِن أعضاء الحزب الأُموي الذين نزحوا إلى مكة لإشاعة الكراهية والنقمة على حكومة الإمام عليه السلام وأغلب الظنّ أنّهـــم تعرّفـــوا على الخوارج الذين كانوا مِن أعدى الناس للإمام عليه السلام فقاموا بالدعم الكامل لهم على اغتيال الإمام عليه السلام.

٧٦ يراع العلمـــــاء

٨٤ حـــوار ثقـــافي

٩٠ الشـــرق والغـــرب

١٠٠ ذاكـرة الأُمـــــم

١٠٨ تراث مكتبة الروضة

١١٢ لاذوا بالجـــوار

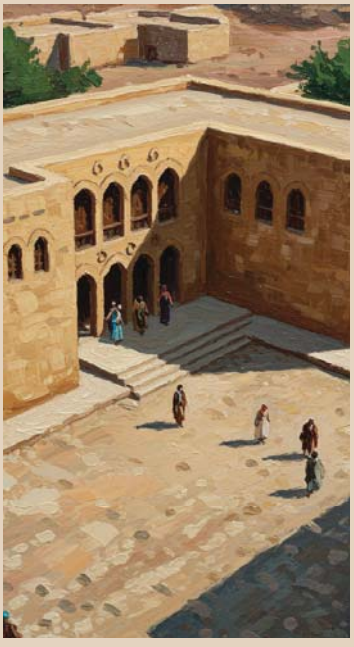

قـــــاف

القرآن الكريم وتأويله عند الإمـــام الحســـن المجتبى عليه السلام

أ.د خليل خلف بشير
جامعة البصرة / كلية الآداب

القـــرآن الكريـــم وتأويله
عند الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

أ.د خليل خلف بشير جامعة
جامعة البصرة / كلية الآداب

الإمـام الحسـن عليه السلام من أهل بيتٍ شـهد نـزول الوحي فكان بـدء حياته مع القـرآن الكريـم، وكان وحـي السـماء وآيـات التنزيل تطرق سـمعه وفكره وقلبـه قبـل أن تطرق أسـماع الآخرين وأفكارهـم وقلوبهم.

لعلّ مـــا خلّفه الإمام الحســـن عليه السلام من تـــراث فكري وإنســـاني وعلمي بوســـاطة النصـــوص التي أُثِـــرت عنه من خطـــب، ورســـائل، ووصايا، واحتجاجـــات، وأحاديث، وحِكم في فـــروع المعرفة المختلفة تكشـــف عن تنوع اهتمامه عليه السلام، وســـعة علمـــه، وإحاطته بمتطلبات المرحلـــة التي كانت تعيشـــها الأمة المســـلمة في عصره المحفـــوف بالفتن والمخاطـــر والدواهي التي قـــلّ فيها من يعـــي طبيعـــة المرحلـــة ومتطلباتها إلا مـــن كان محفوفًا برعاية الله وتســـديده[1]، ومن تراثـــه الفكري -الذي لم يُســـلط عليه الضوء كثيرًا- تأويله القـــرآن الكريم.

الإمام الحسن عليه السلام والقرآن الكريم

كان الإمـــام الحســـن عليه السلام من أهل بيت شـــهد نزول الوحـــي فكان بدء حياته مـــع القرآن الكريم، وكان وحي الســـماء وآيات التنزيل تطرق ســـمعه وفكره وقلبـــه قبل أن تطرق أســـماع الآخرين وأفكارهـــم وقلوبهم، عنه أنه إذا آوى الى فراشـــه قرأ ســـورة الكهف[2]، وكان عليه السلام لا يقـــرأ آية من كتاب الله (فيهـــا) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِيـــنَ ءَامَنُواْ﴾ إلا قال: ((لبيـــك اللهم لبيك)) ولم يـــرَ في شيء من أحواله إلا ذاكرًا الله ســـبحانه[3]، وقد أدّبـــه الله تعالى بالقرآن وربـــاه على منهـــج كتابه، وهـــذا ما صرح بـــه عليه السلام فعن أنـــس: ((حيت جارية للحســـن بن عـــلي عليه السلام بطاقة ريحان فقـــال لها: أنت حـــرة لوجه الله فقلت له في ذلك فقـــال: أدبنا الله تعالى: فقـــال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُـــم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحسَـــنَ مِنهَآ أَو رُدُّوهَآ﴾ وكان أحســـن منها إعتاقها))[4].

وكان الإمام الحســـن عليه السلام يدعـــو الى اتخاذ القرآن إمامًا فهـــو القائل: ((ما بقـــي في الدنيا بقيـــة غير هذا القـــرآن فاتخـــذوه إمامًا يدلكم عـــلى هداكم وإن أحق النـــاس بالقرآن مـــن عمل بـــه وإنْ لم يحفظه، وأبعدهـــم منه من لم يعمل بـــه وإنْ كان يقرؤه))[5]؛ لذا يكون القرآن ســـائقًا وقائـــدًا الى الجنة فينبغي العمـــل بحلاله وحرامه قـــال الإمام الحســـن عليه السلام: ((إنّ هذا القرآن يجيء يوم القيامة قائدًا وســـائقًا يقـــود قومًا إلى الجنة أحلـــوا حلاله وحرموا حرامه وآمنوا بمتشـــابهه، ويســـوق قومًا إلى النار ضيعوا حـــدوده وأحكامه واستحلوا محارمه))[6].

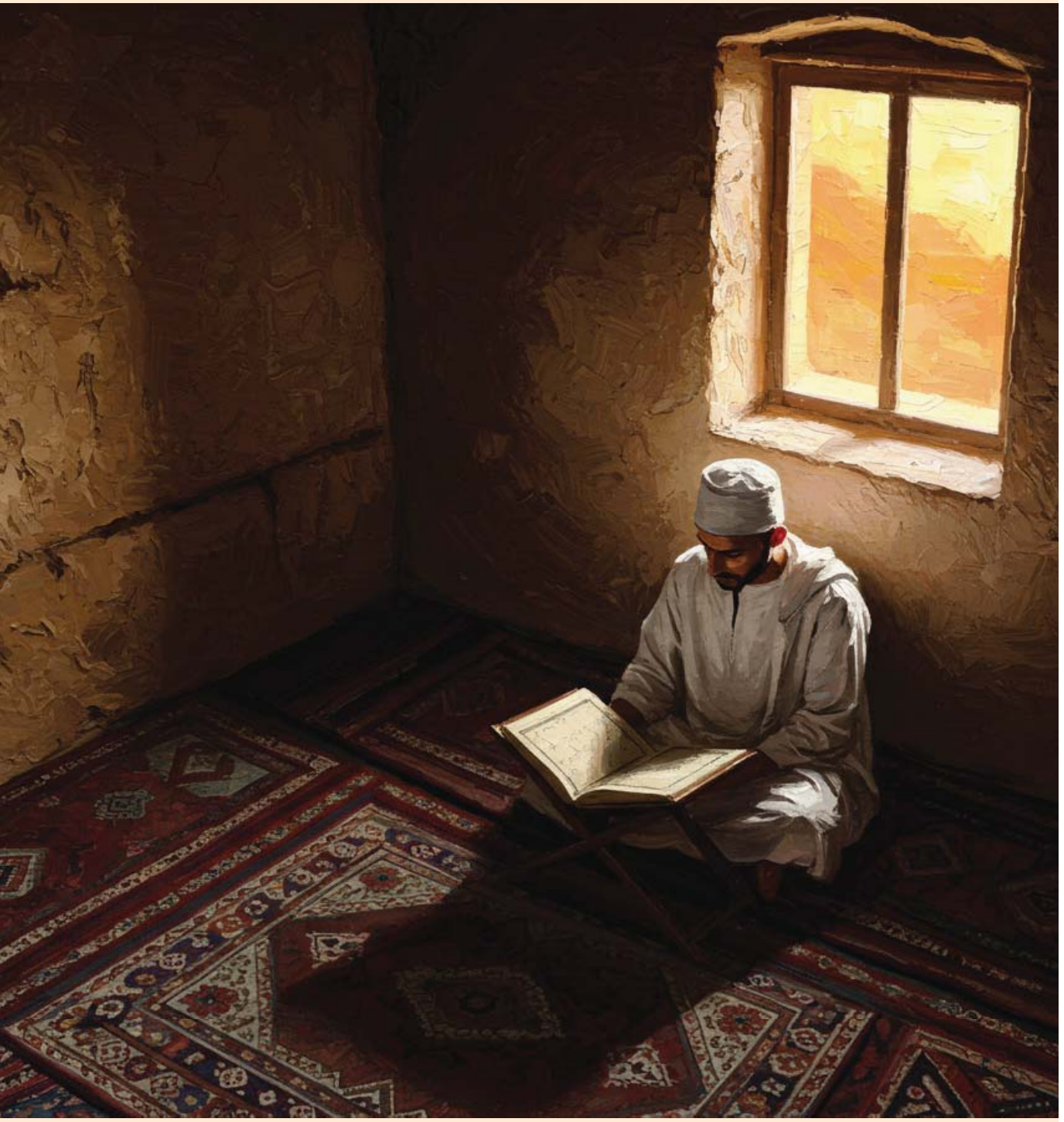

ويـــرى عليه السلام أن في القـــرآن الكريم ((مصابيح النور وشـــفاء الصـــدور، فليجل جـــالٍ بضوئه وليلجـــم الصفـــة فـــإن التلقين حيـــاة القلب البصير، كما يمشي المســـتنير في الظلمات بالنور))[٧]، ويرى الإمام الحســـن عليه السلام أيضًـــا أنّ إجابة الدعاء مقترنة بقـــراءة القـــرآن الكريم كما يقول عليه السلام: ((من قرأ القـــرآن كانت له دعـــوة مُجابة، إمّا معجلة وإمّـــا مؤجلة))[٨].

نماذج من تأويله القرآن الكريم

أمـــا آراؤه في التأويـــل فقـــد منع التفســـير بالرأي اعتـــمادًا على قول الرســـول الأكرم صلى الله عليه وآله في قولـــه: ((من قال في القرآن برأيه فأصـــاب فقد أخطـــأ))[٩].

ويمكـــن تلمس نماذج مـــن تأويله النصوص القرآنية بالآتي:

١- تأويل قوله تعـــالى: ﴿**وَشَـــارِكْهُمْ فِي الأَمْوَالِ وَالأَولادِ**﴾ [الإسراء: ٦٤]، روى سفيان الثّـــوريّ عـــن واصل، عـــن الحســـن، عن ابن عبـــاس: ((أنه جلس الحســـن بن عـــلي ويزيد بن معاوية بن أبي ســـفيان يـــأكلان الرطب فقال يزيد: يا حســـن إني مـــذ كنت أبغضـــك، قال الحســـن: اعلم يا يزيد أن إبليس شـــارك أباك في جُماعه فاختلـــط الماءان فأورثـــك ذلك عداوتي؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**وَشَـــارِكْهُمْ فِـــي الأَمْوَالِ وَالأَولادِ**﴾ وشـــارك الشـــيطان حربًا عند جُماعه فولد لـــه صخـــرًا؛ فلذلـــك كان يبغض جدي رسول الله صلى الله عليه وآله))[١٠].

٢- وصـــحَّ عنـــه عليه السلام إنّه خطـــب النّاس فقـــال في خطبته: ((أنـــا من أهل البيـــت الّذين افترض الله موّدتهم على كلّ مســـلّم، فقـــال: ﴿**قُل لَّا أَسْـــأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُـــوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْـــتَرِفْ حَسَـــنَةً نَّزِدْ لَـــهُ فِيهَا حُسْـــنًا**﴾ [الشـــورى: ٢٣]، واقتراف الحســـنة مودّتنا أهل البيت))[١١].

٣- وفي تأويـــل قولـــه: ﴿**فَاسْـــتَوَى عَلَى سُـــوقِهِ**﴾ [الفتـــح: ٢٩]، روي عن الإمـــام الحسن عليه السلام أنه قال: ((اســـتوى الإسلام بسيف عـــليٍّ (عليه الســـلام)))[١٢].

٤- وســـئل عن تأويل قوله: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَـــدَرٍ**﴾ [القمـــر: ٤٩]، فقال: ((يقول عزّ وجـــلّ: إِنَّـــا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَـــاهُ لأهل النّار بقدر أعمالهـــم))[١٣].

٥- وفي تأويل قوله: ﴿**وَشَـــاهِدٍ وَمَشْهُودٍ**﴾ [الـــبروج: ٣] يذكـــر أنّ الشـــاهد النبي محمد صلى الله عليه وآله، والمشـــهود يوم القيامة، معتمـــدًا في ذلك منهج تفســـير القـــرآن بالقرآن كـــما يتضح من الرواية التـــي مفادها ((أن رجلًا دخل مســـجد رســـول الله صلى الله عليه وآله فإذا رجل يحدِّث عن رســـول الله صلى الله عليه وآله قال فســـألته عن الشـــاهد والمشـــهود فقال: نعم، الشـــاهد يوم الجمعة والمشـــهود يوم عرفـــة، فجزتـــه إلى آخر يحدِّث عن رســـول الله صلى الله عليه وآله فســـألته عن ذلك فقال: نعم، أما الشـــاهد فيـــوم الجمعة وأمـــا المشـــهود فيـــوم النحر، فجزتهـــما إلى غـــلام كأن وجهـــه الدينـــار وهو يحـــدِّث عن رســـول الله صلى الله عليه وآله فســـألته عن ذلك

إنّ هذا القرآن يجيء يوم القيامة قائدًا وسائقًا يقود قومًا إلى الجنة أحلوا حلاله وحرموا حرامه وآمنوا بمتشابهه، ويسوق قومًا إلى النار ضيعوا حدوده وأحكامه واستحلوا محارمه

فقال: نعم، أما الشاهد فمحمد صلى الله عليه وآله، وأما المشهود فيوم القيامة، أمَا سمعته سبحانه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾[الأحزاب: ٤٥]، وقال: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣]، فسألت عن الأول، فقالوا: ابن عباس، وسألت عن الثاني، فقالوا: ابن عمر، وسألت عن الثالث، فقالوا: الحسن بن علي عليهما السلام...))[١٤]، وكان قول الحسن أحسن))[١٥].

٦- وفي تأويل قوله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ [البروج: ٤]، ذكر المتّقي الهنديّ أن الإمام الحسن عليه السلام فسّر (أَصْحَابُ الأُخْدُودِ) بالحبشة[١٦].

٧- وسُئل عن تأويل قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]، فقال: ((هي العلم والعبادة في الدنيا، والجنة في الآخرة))[١٧]، فقد نبّه الإمام في هذا إلى ما يغفل عنه أكثر العامة، إذ لا حسنة أعلى من العلم والمعرفة، وعبادته سبحانه في الدنيا، وثمرة المعرفة هي الطاعة والعبادة[١٨].

١- ظ: لجنة التأليف في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت، أعلام الهداية - الإمام الحسن المجتبى: ٤/ ١٩٤.
٢- ظ: علي الكريمي الجهرمي، العترة والقرآن: ٨٩.
٣- ظ: ابن طاووس، فلاح السائل: ٢٦٩.
٤- المجلسي، بحار الأنوار: ٤٣/ ٣٤٣.
٥- الحسن بن محمد الديلمي، إرشاد القلوب: ١/ ٧٩.
٦- م، ن: ١/ ٧٩.
٧- المجلسي، بحار الأنوار: ٢٥/ ١١٢.
٨- الراوندي، قطب الدين، الدعوات (سلوة الحزين): ٢٤.
٩- ورد الحديث في مصادر كثيرة منها: الجامع الصغير للسيوطي: ٢/ ٦٢٩، وكنز العمال للمتقي الهندي: ٢/ ١٦.
١٠- المجلسي، بحار الأنوار: ٤٤/ ١٠٤.
١١- ظ: المجلسي، بحار الأنوار: ٢٣/ ٢٣٢.
١٢- ظ: م، ن: ٣٦/ ١٨٠.
١٣- الصدوق، التوحيد: ٣٠/ ٢٩٨-٢٩٩.
١٤- المحقق البحراني، الحدائق الناضرة: ٩/ ٣٥٣.
١٥- الشافعي، محمد بن طلحة، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ٣٣٩.
١٦- ظ: المتقي الهندي، كنز العمال: ٢/ ٥٤٩.
١٧- ظ: ابن حجر، فتح الباري: ١١/ ١٦٢.
١٨- ظ: السبحاني، مفاهيم القرآن (العدل والإمامة): ١٠/ ٣١٩.

نزول القرآن في شهر رمضان
وعلاقته بتاريخ البعثة النبوية

من الثابت لدى الإمامية في تعيين يوم مبعث النبي ﷺ: أنَّه اليوم السابع والعشرون من شهر رجب الأصبّ، على ما جاء في روايات أهل البيت عليهم السلام، وإنَّ مبدأ نزول القرآن - بعنوان كونه كتابًا سماويًا- كان متأخّرًا عن يوم مبعث النبي بالرسالة، فأُنزل عليه القرآن في شهر رمضان ليلة القدر، يقول الإمام الصادق عليه السلام: ((لا تدع صيام يوم سبع وعشرين من رجب؛ فإنَّه اليوم الذي نزلت فيه النبوَّة على محمّد ﷺ))[1]، وقد وردت روايات كثيرة بشأن تعيين اليوم نفسه من طُرق عامة المسلمين أيضًا.

مع أن هناك من يرى غير ذلك، فقد أورد العلّامة المجلسي خمسة أقوال اختلفت فيما بينها في تعيين اليوم الذي بُعث فيه النبي محمّد ﷺ، الأوّل: سابع عشر من شهر رمضان، والثاني: ثامن عشر من شهر رمضان، والثالث: أربع وعشرون من شهر رمضان، والرابع: ثاني عشر من شهر ربيع الأوّل، الخامس: سابع وعشرون من شهر رجب، وعلى الأخير اتّفاق الإمامية[2].

والواضح أنّ أكثريَّة القائلين ببِعْثته ﷺ في شهر رمضان، لعلّه قد اشتبه عليهم مبدأ حادث النبوَّة بمبدأ حادث نزول القرآن كتابًا فيه تبيان كلِّ شيء، وهذا الاشتباه يبدو من استدلالهم على تعيين يوم البعثة، بما يُستدل به على أنَّ القرآن الكريم نزل في ليلة القدر من شهر رمضان، في حين أن لا صلة بين الحادثَين.

فبعض الآيات المباركة تشير إلى أن نزول القرآن الكريم كان في شهر رمضان كما في قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥] وكذلك قوله سبحانه: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، والمعلوم أنّ ليلة القدر هي ليلة مباركة من ليالي شهر رمضان، ونزول القرآن فيها ينتج عنه أمران:

أوّلًا: منافاته - ظاهرًا - مع ما أسلفناه من اتّفاق الإمامية وعدد من أحاديث غيرهم، على أنَّ البعثة كانت في رجب، ولا شكَّ أنَّ البعثة كانت مقرونة بنزول آيٍ من القرآن، وهي خمس آيات من أوّل سورة العَلَق، فكيف يتمّ ذلك مع القول بنزول القرآن في شهر رمضان في ليلة القدر؟

ثانيًا: ماذا يكون المقصود من نزول القرآن ليلة القدر؟ هل نزل القرآن كلُّه جملة واحدة تلك الليلة؟ مع العلم أنَّ القرآن نزل نجومًا لمدة أكثر من عشرين عامًا، حسب المناسبات والظروف المختلفة، ودُعيت فيما بعد باسم (أسباب النزول)، فكيف ذلك؟

وللإجابة عن هذين السؤالين بصورة إجمالية نقول: إنَّ بدْء البعثة يختلف عن بدء نزول القرآن بوصفه كتابًا سماويًا؛ لأنَّه ﷺ نُبِّئ ولم يؤمَر

بالتبليغ العامّ إلاّ بعد ثلاث سنوات، كان فيها يدعو في اختفاء حتّى نزلت آية: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤]، ومن هذا الحين جُعل القرآن ينزل تِباعًا، بسِمة كونه كتابًا أُنزل من السماء.

وقد كان بدْء نزول القرآن -بعد تلك المدة- في ليلة القدر من شهر رمضان؛ وبهذا الاعتبار صحَّ التعبير بأنَّ القرآن نزل في ليلة القدر، وإن كان نزوله تِباعًا استغرق أكثر من عشرين عامًا؛ إذ كلّ حدَث خطير تكون له مدَّة وامتداد، فإنَّ تاريخه يسجَّل حسب مبدأ شروعه، ولدينا من الروايات ما تتحدد بها مدة نزول القرآن على النبي ﷺ التي استغرقت عشرين عامًا؛ لكون أن مبدأ نزول القرآن كان متأخّرًا عن البعثة بثلاث سنوات تقريبًا.

فقد ظهر من الآيات التي تتحدّث عن نزول القرآن في شهر رمضان أنَّ نزوله كان دفعيًا، بمعنى أنَّهُ نزل بتمامه دفعةً واحدةً في شهر رمضان، وإنْ كان هذا -ظاهرًا- يخالف ما صرحت به آيات أخرى من أن نزوله كان مفرّقًا طوال مدة البعثة النبوية بمرحلتيها المكية والمدينة، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، وكذلك قوله تعالى أيضًا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]، فالقرآن نزل على رسول الله ﷺ نُجومًا مفرقًا في مدة ما بين بعثته إلى رحيله عن الدنيا.

فقد قيل إنَّ للقرآن الكريم نزولين: (دفعي وتدريجي)، والنزول الدفعيّ هو نزول معاني القرآن

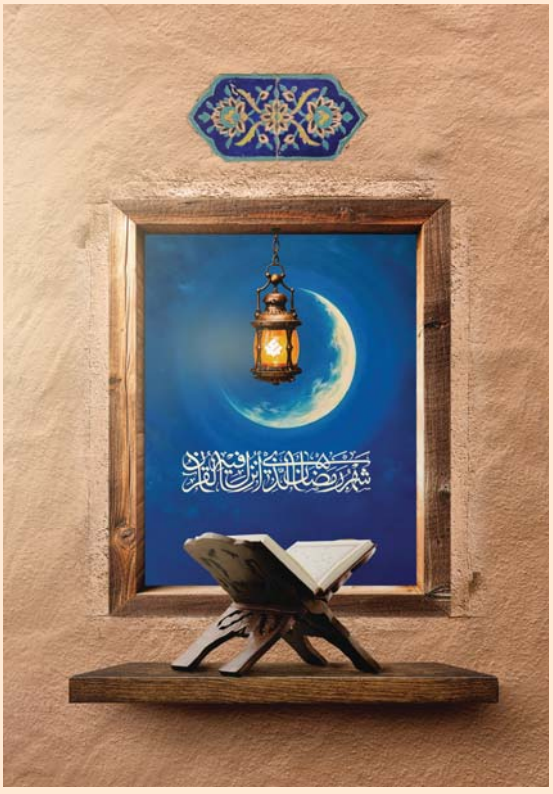

الكلية على قلب النبيّ ﷺ في ليلة القدر من شهر رمضان؛ لتنوير قلبه بالمعارف والعلوم القرآنية التي تساعده على تحمُّل أعباء الرسالة، بناءً على ما جاء في بعض الروايات، والنزول الثاني التدريجي، وهو نزول القرآن الكريم نجومًا مفرّقًا، فينزل بين مدةٍ ومدةٍ وبحسب المناسبات والظروف، ولعل هذا الرأي هو الأرجح بين الباحثين والمتخصصين في علوم القرآن وتاريخه[٣].

١- الكليني، الكافي: ٤/ ١٤٩.
٢- ظ: المجلسي، بحار الأنوار: ١٨/ ١٩٠.
٣- ظ: محمد هادي معرفة، تلخيص التمهيد: ١/ ٦٠-٦٩.

حتى يتفقهوا

■ فلسفة تشريع الصيـــام
وفوائـــده

أ.د صلاح المنصوري
جامعة الكوفة/ كلية الفقه

فلسفة تشريع الصيام وفوائـــــــده

أ.د صلاح المنصوري
جامعة الكوفة/ كلية الفقه

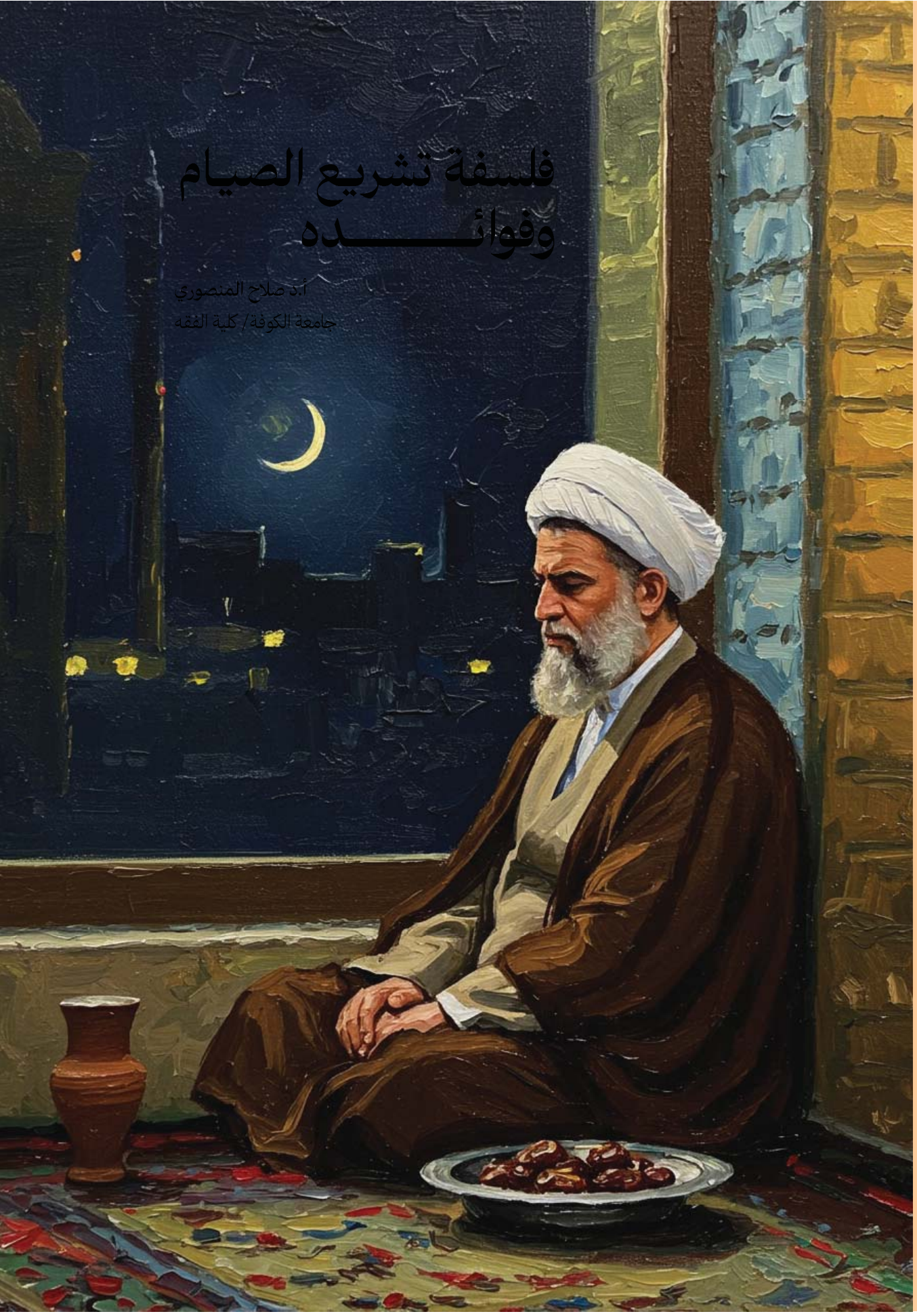

لا شك ولا ريب أن لكل حُكم سببًا وفلسفة تكمن وراءه، ومن هنا قال الفقهاء إنَّ الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد؛ لذا نعتقد جزمًا أنه (جلّ وعلا) لا يأمر إلا بما فيه المصلحة، ولا ينهى إلا ما كان فيه مفسدة، فمن هنا يمكن لنا أن ندرك أهمية الصوم والمصلحة الكامنة وراءه في الدنيا والآخرة.

ولو تأملنا في الشريعة لو جدنا أنّ ما من حُكم إلا وفيه حِكمة، وكثير منها قد صرّح به المولى سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، ومثال ذلك الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر كما جاء في قوله سبحانه وتعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[العنكبوت: ٤٥]، وكذلك من الحِكَم الأساسية للصوم هي تقوى الله سبحانه وتعالى، وهذا ما صرّحت به الآية المباركة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]؛ لذا سوف يقوم المقال على مطلبين: الأول بعنوان الحِكَم الأساسية للصيام، أما الثاني سيتعرض إلى فوائد الصيام.

المطلب الأول: الحِكم الأساسية للصيام

أولاً: تقوى الله سبحانه وتعالى هي الغاية الأساسية للصوم كما ورد في الآية المباركة فهو حصانة للإنسان من ارتكاب المحرمات وترك الواجبات، فقد ورد عن النبي الأكرم ﷺ: ((مَن لم يَدَعْ قول الزُّور والعملَ به والجهلَ، فليس لله حاجةٌ أن يَدَعَ طعامه وشرابه))[١].

وقد ذكر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ((الصيام اجتناب المحارم كما يمتنع الرجل عن الطعام والشراب))[٢]، وأشار عليه السلام بقوله: ((صوم النفس إمساك الحواس الخمس عن سائر المآثم وخلو القلب عن أسباب الشر))[٣].

كما ورد عن السيدة الزهراء فاطمة بنت محمد عليها السلام أنها قالت: ((ما يصنع الصائم بصيامه إذا لم يصن لسانه وسمعه وبصره وجوارحه))[٤].

ثانياً: اكتساب الصبر ومقاومة الشهوات: من حِكَم الصيام هي صيانة النفس من الميل الى تجاوز الحد المعقول من الملذات والابتعاد عن الإفراط والتفريط في استهلاكها، فجاء في الحديث عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قوله:

لو تأملنا في الشريعة لوجدنا أنّ ما من حكم إلا وفيه حكمة، وكثير منها قد صرّح به المولى سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، ومثال ذلك الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر

((قال رسول الله ﷺ: من صام شهر رمضان إيمانًا واحتسابًا وكفّ سمعه وبصره ولسانه عن الناس قَبِل الله صومه وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأعطاه ثواب الصابرين))[٥]، فمن المعلوم أن تعويد النفس على مقاومة الشهوات والملذات يكسبها لونًا من ألوان الصبر والذي من خلاله يسمو العبد ويتكامل فيكون إنسانًا سوياً مطيعًا لخالقه.

ثالثاً: الاحساس بالفقراء ومواساتهم:

أوضح الإمام الصادق عليه السلام أن احدى حكم الصوم هو تساوي الغني والفقير في شهر رمضان إذ قال عليه السلام: ((إنما فرض الله عز وجل الصيام ليستوي به الغني والفقير، وذلك أن الغني لم يكن ليجد مس الجوع فيرحم الفقير، لأن الغني كلما أراد شيئا قدر عليه، فأراد الله عز وجل أن يسوي بين خلقه وأن يذيق الغني مس الجوع والألم ليرق على الضعيف فيرحم الجائع))[٦].

رابعًا: البناء الروحي والإيماني للصائم

إن شهر رمضان المبارك فرصة للعبد أن يراجع نفسه عندما يكون في ضيافة الله تعالى فيجدد العلاقة بينه وبين خالقه حتى يشعر بالقرب منه وبالتالي يخشاه ولا يخالفه ويطيع أوامره وينتهي عما نهاه عنه، فإذا استمر على هذا النهج سيكون متقيًا سائرًا على الخط المستقيم الذي رسمه الله تعالى له وهذا ما أشار اليه الإمام الصادق عليه السلام عندما سُئل عن تفسير التقوى فقال: ((أن لا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك))[٧].

وفي الصوم ترسيخ للإيمان من خلال ذكر أحوال يوم القيامة والعطش والجوع الشديدين في ذلك اليوم المهول؛ قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ((فرض الله... الصيام ابتلاء لإخلاص الخلق))[٨]، وما نراه من قول أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن ابي طالب عليه السلام هو وجود ربط بين الصيام والاخلاص كيف لا وهو يؤدي إلى التقوى كما ورد في الآية الشريفة.

المطلب الثاني: فوائد الصيام

للحديث عن فوائد الصيام جميعًا نحتاج إلى صفحات كثيرة، لكن سنقتصر في هذا المقال على الفوائد الصحية بما يسعه المقام.

قال رسول الله ﷺ: ((صوموا تصحّوا))[٩] فهذا الحديث يؤكد أن الصيام يصب في صحة الانسان وبدنه، وهو يتضمن اتباع نظام غذائي صحي، وهذا سوف يتضح من الروايات التي تؤكد ذلك والذي اثبته علم الطب كحقائق علمية لا غنى للإنسان عنها ولا بد من اتباعها والالتزام بها.

وقال الإمام الصادق عليه السلام: ((قلة الأكل محمودٌ في كلّ حال، وعند كُلّ قوم؛ لأن فيه مصلحة للظاهر والباطن والمحمود من المأكولات أربعة: ضرورة وعدة وفتوح وقوت، فالأكل الضروري للأصفياء، والعدة لقوام الأتقياء، والفتوح للمتوكلين، والقوت للمؤمنين، وليس شيء أضر لقلب المؤمن من كثرته فيورث شيئين: قسوة القلب، وهيجان الشهوة، والجوع إدام للمؤمنين، وغذاء للروح، وطعام للقلب، وصحة للبدن))[١٠].

روي عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ((لكل شيء زكاة، وزكاة الأبدان الصيام))

وقد أشار الشيخ ناصر مكارم الشيرازي إلى إطباق الأطباء على فوائد الصوم الصحية وما فيه من مصلحة لجسم الإنسان، إذ إن في الصوم تقوية للمعدة والجهاز الهضمي وكذلك تنقية وتصفية للدم من السموم والدهون وحماية أنسجة الجسم[11]، وقد ذكر الدكتور محمد سعيد السيوطي: أن الصيام الحق يمنع تراكم المواد السمّية الضارة كحمض البول وفوسفات الأمونياك والمنغنيزا في الدم وما تؤدي إليه من تراكمات مؤذية في المفاصل والكلى -الحصى البولية-، ويقي من داء الملوك -النقرس- أما ما ذكره العلماء من غير العرب عن فوائد الصيام

ومن بينهم البروفيسور (نيكولايف بيلوي) من موسكو في كتابه (الجوع من أجل الصحة ١٩٧٦م) : إن على كل إنسان -وخاصة سكان المدن الكبرى- أن يمارس الصيام بالامتناع عن الطعام لمدة(٣ - ٤)أسابيع كل سنة كي يتمتع بالصحة الكاملة طيلة حياته[١٢].

أما ما ذكره عالم الصحة الأميركي (ماك فادون) بقوله: "إن كل إنسان يحتاج إلى الصوم وإن لم يكن مريضاً؛ لأن سموم الأغذية تجتمع في الجسم فتجعله كالمريض فتثقله ويقل نشاطه، فإذا صام خف وزنه وتحللت هذه السموم من جسمه وتذهب عنه حتى يصفو صفاءً تامًا، ويستطيع أن يسترد وزنه ويجدد خلاياه في مدة لا تزيد عن (٢٠) يوماً بعد الإفطار، لكنه يحس بنشاط وقوة لا عهد له بهما من قبل"[١٣] ولهذا كان يعالج مرضاه بالصيام وخاصة المصابين بأمراض المعدة حتى قال: "فالصوم لها مثل العصا السحرية، يسارع في شفائها، وتليها أمراض الدم والعروق فالروماتيزم"[١٤]، وقد اتفق معهما العالم (ألكسيس كاريل) الحائز على جائزة نوبل في الطب فقال في كتابه (الإنسان ذلك المجهول): "إن كثرة وجبات الطعام ووفرتها تعطل وظيفة أدت دورًا عظيماً في بقاء الأجناس الحيوانية وهي وظيفة التكيّف على قلة الطعام؛ ولذلك كان الناس يصومون على مر العصور، وإن الأديان كافة لا تفتأ تدعو الناس إلى وجوب الصيام والحرمان من الطعام لفترات محدودة"؛ وقد أجمع أكثر الأطباء في بريطانيا (المملكة المتحدة) على فوائد الصوم لصحة الجسم وأجريت دراسات كثيرة بهذا الخصوص أثبتت فائدة الصيام العظيمة لصحة الانسان.

وكذلك روي عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: ((قال رسول الله ﷺ: لكل شيء زكاة، وزكاة الأبدان الصيام))[١٥].

فسبحان الله كم هو رحيم بالعباد، فما من شيء فرضه على عباده إلا وكان مغفرة ورحمة فعندما فرض الصيام فمن أجل الحكمة والفائدة التي تتحقق بامتثال المخلوق لخالقه جل وعلا.

---

١. البخاري، صحيح البخاري: ٥/ ٢٢٥١.
٢. المجلسي، بحار الأنوار: ٩٣/ ٢٩٤؛ الريشهري: محمدأميزان الحكمة: ٢/ ١٦٨٧.
٣. الليثي، علي بن محمد الواسطي، عيون الحكم والمواعظ: ٣٠٥.
٤. النوري، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: ٧/ ٣٦٦.
٥. الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٠/ ١٦٤.
٦. الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ٢/ ٧٣.
٧. المجلسي، بحار الأنوار: ٧٠/ ٢٨٥.
٨. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ٢/ ١٦٨٥.
٩. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة: ٢/ ١٦٨٦.
١٠. مصباح الشريعة - المنسوب للإمام الصادق عليه السلام - الصفحة ٧٧.
١١. ظ: الأمثل: ١/ ٥١٧-٥٢٠.
١٢. ظ: الجوع من أجل الصحة / www.55a.net
١٣. فتحي الشواك، https://www.aljazeera.net/blogs
١٤. ظ: الجوع من أجل الصحة / www.55a.net
١٥. المجلسي : محمد باقر أبحار الأنوار ، ٩٣ / ٢٥٧ .

مع الحـــق

العقائد الحقة من فكر أمير المؤمنـــــين عليه السلام (عقيدة النبـــوة اختيارًا)

د. رحيم علوان عبد شاهر الابراهيمي
جامعة الكوفة / كلية الفقه

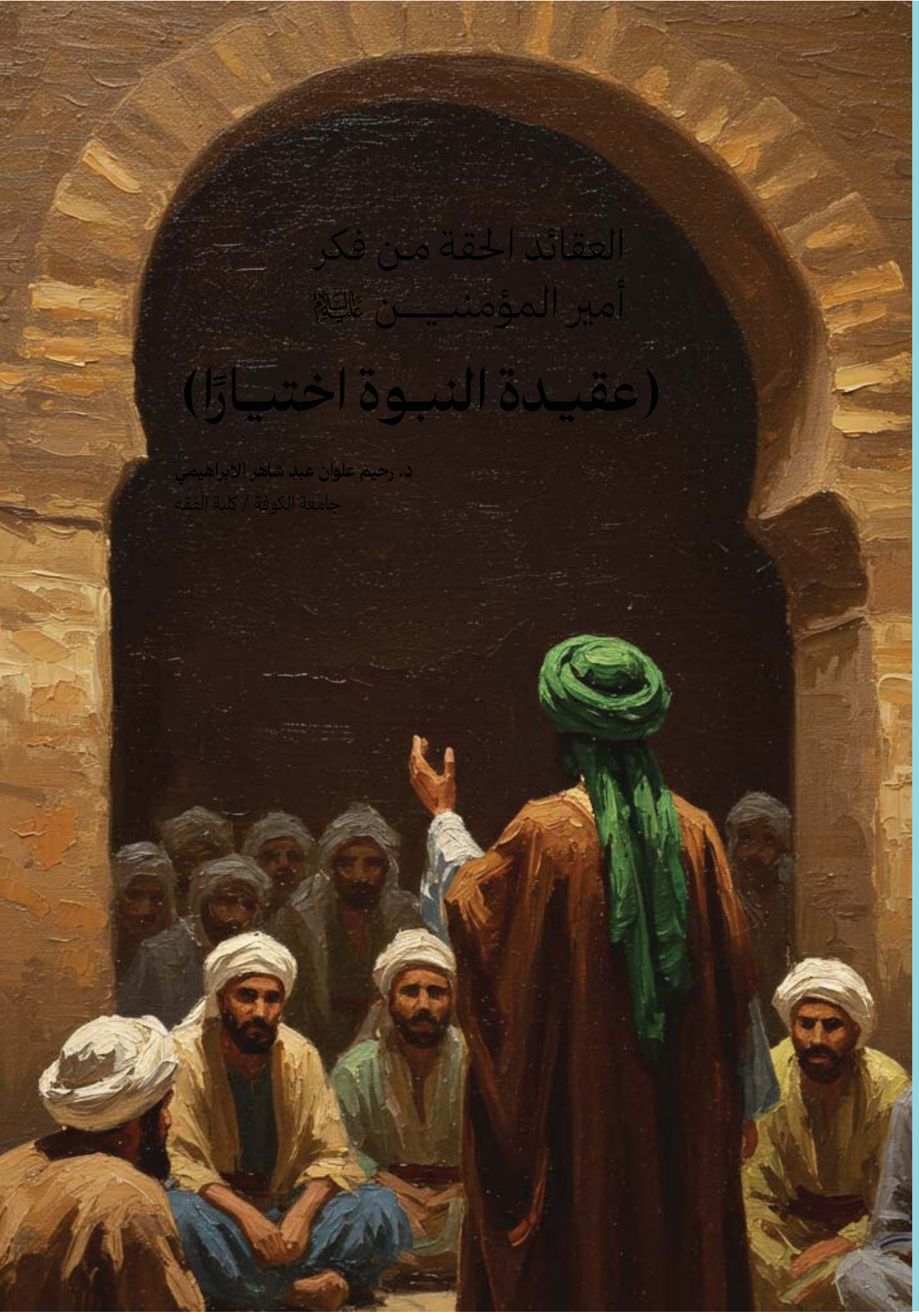

العقائد الحقة من فكر أمير المؤمنين عليه السلام

(عقيدة النبوة اختيارًا)

د. رحيم علوان عبد شاهر الابراهيمي
جامعة الكوفة / كلية الفقه

إنَّ فكر الإمام علي عليه السلام، هو: ذلك الفكر الوقاد المرتبط بالوحي والنبوة معًا، فضلًا عن تكليفه بالإمامة والوصية من قبل الله تعالى، كونه أول الأئمة المعصومين عليهم السلام، وأباهم جميعًا، فلذلك يقْرنُ بالقرآن الكريم، وينعتُ بالقرآن الناطق، وهو المصدر الأول لمعرفة الأصول والفروع بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، والآخذ منه بمثابة الآخذ من المنبع الصافي الثر، والعذب الذي لا يشوبه الكدر.

وعقيدة النبوة هي إحدى أصول العقائد التي دافع عنها، وجاهد في سبيل الله من أجل بيانها، وأكد عليها في جميع أقواله وأفعاله وتقريراته، كون الأنبياء هم المكلفون الأوائل لدعوة الناس إلى توحيد الله وعبادته، فقد قال تعالى مخاطبًا خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[طه: ١٤]، وكان أمير المؤمنين يتبع رسول الله صلى الله عليه وآله اتباع الفصيل أثر أُمه، فقد وصفه فقال: ((ولقد قرن الله به من لدن كان فطيما أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره، ولقد كنت معه أتبعه اتباع الفصيل أثر أُمه، يرفع لي في كل يوم علما من أخلاقه و يأمرني بالاقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحِراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي، والرسالة، وأشم ريح النبوة))[1].

ولقد وصف الإمام عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وصفًا دقيقًا، لم ولن يَسعَ لأحد أن يصفه مثله، بعد أن وحّد الله وأثنى عليه قال: ((اختاره من شجرة الأنبياء، ومشكاة الضّياء، وذؤابة العلياء، وسرّة البطحاء، ومصابيح الظّلمة وينابيع الحكمة طبيب دوّار بطبّه قد أحكم مراهمه، وأحمى مواسمه، يضع ذلك حيث الحاجة إليه من قلوب عمي، و آذان صمّ، وألسنةٌ بكم متّبع بدوائه مواضع الغفلة، ومواطن الحيرة))[2].

حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمد صلى الله عليه وآله، فأخرجه من أفضل المعادن منبتًا، وأعز الأرومات مغرسًا من الشجرة التي صدع منها أنبياءه، وانتخب منها أمناءه، عترته خير العتر، وأسرته خير الأسر، وشجرته خير الشجر

فلقد استعار عليه السلام لفظة الشجرة لصنف الأنبياء باعتبار أنّ هذا الصنف له فروع وأثمار، وأوراق كالشجرة، ففروعه أشخاص الأنبياء، وآحادهم، وأثماره العلوم والكمالات، والكرامات التي لهم، وأوراقه المؤمنون، والمخلصون من أممهم، واستعار عليه السلام لفظ المشكاة لآل إبراهيم، ووجه المشابهة أنّ هؤلاء قد ظهرت منهم الأنبياء، وسطع من بينهم أنوار النّبوة، والهداية؛ كما يظهر نور المصباح من المشكاة[٣].

وفي وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: ((يا علي، إن الله عز وجل أشرف على الدنيا فاختارني منها على رجال العالمين، ثم اطلع الثانية فاختارك على رجال العالمين بعدي، ثم اطلع الثالثة فاختار الأئمة من ولدك على رجال العالمين بعدك، ثم اطلع الرابعة فاختار فاطمة على نساء العالمين))[٤].

وقد بين أمير المؤمنين عليه السلام في خطبه البليغة وحكمه العظيمة عقيدة النبوة التي سنوجزها بما يلي:

اولًا: الاعتقاد بنبوة آدم عليه السلام: فقد بيّن الامام عليه السلام الاعتقاد بنبوة آدم وعصمته في إحدى خطبه فقال: ((فلمّا مهد أرضه، وأنفذ أمره فيها بما أراد من الجبال، والبحار، وغيرهما، اختار آدم عليه السلام خيرة من خلقه..... و ليقم الحجّة به على عباده))[٥]، وفي الخبر: إنّ الحجّة قبل الخلق، ومع الخلق وبعد الخلق[٦]، وقد اشتهر إجماع اصحاب الأئمة عليهم السلام على عدم جواز صدور معصية ولو صغيرة من الأنبياء ولو قبل نبوّتهم[٧].

ثانيًا: الاعتقاد بجميع الانبياء عليهم السلام: ففي خطبة من خطبه مبينًا اصطفاء الانبياء فقال: ((واصطفى سبحانه من ولده أنبياء [أي: من ولد آدم عليه السلام] أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرّسالة أمانتهم، لمّا بدّل أكثر خلقه عهد الله إليهم فجهلوا حقّه، واتّخذوا الأنداد معه، واجتالتهم الشّياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكّروهم منسيّ نعمته، ويحتجّوا عليهم بالتّبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم آيات المقدرة؛ من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع، ومعايش تحييهم، وآجال تفنيهم، وأوصاب تهرمهم، وأحداث تتابع عليهم، ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبيّ مرسل، أو كتاب منزل، أو حجّة لازمة، أو محجّة قائمة: رسل لا تقصّر بهم قلّة عددهم، ولا كثرة المكذّبين لهم: من سابق سمّي له من بعده، أو غابر عرّفه من قبله: على ذلك نسلت القرون، ومضت الدّهور، وسلفت الآباء، وخلفت الأبناء))[٨].

وقد بيّن عليه السلام – فيما سبق ذكره – أن الله

تعـالى واتـر بـين أنبيائـه لأغـراض عـدة مـن أهمهـا:

١- تأديـة ميثـاق الفطـرة: تأكيـدًا لقولـه تعـالى: ﴿وَإِذْ أَخَـذَ رَبُّـكَ مِـنْ بَنِـي آدَمَ مِـنْ ظُهُورِهِـمْ ذُرِّيَّتَهُـمْ وَأَشْـهَدَهُمْ عَـلَى أَنْفُسِـهِمْ أَلَسْـتُ بِرَبِّكُـمْ قَالُـوا بَـلَى شَـهِدْنَا أَنْ تَقُولُـوا يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ إِنَّـا كُنَّـا عَـنْ هَـذَا غَافِلِـينَ﴾ [الأعـراف: ١٧٢]، وغيرهـا مـن آيـات الميثـاق الفطـري.

٢- التذكـير بمنـسي النعمـة: تأكيـدًا لقولـه تعـالى: ﴿وَأَمَّـا بِنِعْمَـةِ رَبِّـكَ فَحَـدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، وقولـه تعـالى: ﴿فَذَكِّـرْ بِالْقُـرْآنِ مَـنْ يَخَـافُ وَعِيـدِ﴾[ق: ٤٥]، وغيرهـا مـن آيـات التذكـير بالنعمـة.

٣- الاحتجـاج عـلى الخلـق بالتّبليـغ: حتـى لا يقولـوا بـما بيّنـه الله تعـالى مـن قولـه: ﴿رَبَّنَـا لَـوْلَا أَرْسَـلْتَ إِلَيْنَـا رَسُـولًا فَنَتَّبِـعَ آيَاتِـكَ وَنَكُـونَ مِـنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[القصـص: ٤٧]، وغيرهـا مـن آيـات إلقـاء الحجـة في تبليـغ الرسـالة.

٤- إثـارة دفائـن العقـول: مشـيرًا الى قولـه تعـالى: ﴿لَقَـدْ أَنْزَلْنَـا إِلَيْكُـمْ كِتَابًـا فِيـهِ ذِكْرُكُـمْ أَفَـلَا تَعْقِلُونَ﴾[الأنبيـاء: ١٠]، وغيرهـا مـن آيـات التفكـر والتعقّـل.

٥- إراءة آيـات المقـدرة: مشـيرًا الى قولـه تعـالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُـرُوا فِي مَلَكُـوتِ السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَـا خَلَـقَ اللَّـهُ مِـنْ شَيْءٍ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

وقولـه تعـالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَـلِ الْأَرْضَ مِهَـادًا * وَالْجِبَـالَ أَوْتَـادًا * وَخَلَقْنَاكُـمْ أَزْوَاجًـا﴾ [النبـأ: ٦-٨]، وغيرهـا مـن آيـات المقـدرة.

وذكـر في خطبـة أخـرى بـما خـص الله أنبيـاءه ورسـله عليهم السلام مـن الوحي والبعثـة وتبليغ الرسـالة وإلقـاء الحجـة، والدعـوة الى سـبيل الحق، فقـال عليه السلام: ((بعـث الله رسـله بـما خصهـم بـه من وحيـه، وجعلهـم حجـة لـه عـلى خلقـه، لئـلا تجـب الحجـة لهـم بـترك الاعـذار إليهـم، فدعاهم بلسـان الصـدق إلى سـبيل الحـق، ألا إن الله قـد كشـف الخلـق كشـفة، لا أنـه جهـل مـا أخفـوه مـن مصـون أسرارهـم ومكنـون ضمائرهـم، ولكـن ليبلوهـم أيهـم أحسـن عمـلا، فيكـون الثـواب جـزاء والعقـاب بـواء))[٩].

ثالثًـا: الاعتقـاد بنبـوة محمـد صلى الله عليه وآله: فقـد بـيّن أمـير المؤمنـين عليه السلام، الاعتقـاد بنبـوة النبـي الخاتـم محمـد صلى الله عليه وآله في خطبـة مـن خطبـه فقـال: ((حتـى أفضـت كرامـة الله سـبحانه إلى محمـد صلى الله عليه وآله، فأخرجـه مـن أفضـل المعـادن منبتًـا، وأعـز الأرومـات مغرسًـا مـن الشـجرة التـي صـدع منهـا أنبيـاءه، وانتخـب منهـا أمنـاءه، عترتـه خـير العـتر، وأسرتـه خـير الأسر، وشـجرته خـير الشـجر، نبتـت في حـرم، وبسـقت في كـرم، لهـا فـروع طـوال، وثمـرة لا تنـال، فهـو إمـام مـن اتقـى، وبصـيرة مـن اهتـدى، سراج لمـع ضـوؤه، وشـهاب سـطع نـوره، وزنـد بـرق لمعـه، سـيرته

بعث الله رسله بما خصهم به من وحيه، وجعلهم حجة له على خلقه، لئلا تجب الحجة لهم بترك الاعذار إليهم، فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحق، ألا إن الله قد كشف الخلق كشفة، لا أنه جهل ما أخفوه من مصون أسرارهم ومكنون ضمائرهم، ولكن ليبلوهم أيهم أحسن عملا، فيكون الثواب جزاء والعقاب بواء

القصد، وسنته الرشد، وكلامه الفصل، وحكمه العدل على حين فترة من الرسل، وهفوة عن العمل، وغباوة عن الأمم))[١٠].

وفي خطبته الغراء شهد بنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله وبيّن مهمته فقال: ((وأشهد أنّ محمّدًا صلى الله عليه وآله عبده ورسوله؛ أرسله لإنفاذ أمره، وإنهاء عذره، وتقديم نُذُره))[١١].

وبيّن عليه السلام في خطبة أخرى هي تتمة لما سبق ذكره آنفا: أن نبينا صلى الله عليه وآله مأخوذ على الانبياء ميثاقه ومبينًا سماته، فقال: ((... على ذلك نسلت القرون ومضت الدّهور وسلفت الآباء، وخلفت الأبناء إلى أن بعث اللهّ سبحانه؟ محمّدًا رسول اللهّ صلى الله عليه وآله لإنجاز عدته و إتمام نبوّته مأخوذًا على النّبيّين ميثاقه مشهورة سماته كريما ميلاده، وأهل الأرض يومئذٍ ملل متفرّقة، وأهواء منتشرة و طوائف متشتّتة بين مشبّهٍ للهّ بخلقه، أو ملحدٍ في اسمه، أو مشيرٍ إلى غيره فهداهم به من الضّلالة، وأنقذهم بمكانه من الجهالة))[١٢].

وشهد عليه السلام لنبينا محمد صلى الله عليه وآله بالنبوة، بعد شهادة التوحيد فقال: ((وأشهد أن لا اله الا اللهّ شهادة إيمان وإيقان، وإخلاص، وإذعان؛ وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أرسله وأعلام الهدى دارسة، ومناهج الدين طامسة، فصدع بالحق، ونصح للخلق، وهدى الى الرشد، وأمر بالقصد صلى الله عليه وآله))[١٣].

وبيّن مظلوميته عليه السلام من بعده فقال: ((فان اللهّ سبحانه بعث محمدًا صلى اللهّ عليه وآله نذيرًا للعالمين، ومهيمنا على المرسلين فلما مضى صلى اللهّ عليه وآله تنازع المسلمون الأمر من بعده، فو اللهّ ما كان يلقى في روعي، ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا أنهم مُنَحُّوهُ عني من بعده))[١٤].

فمن الملاحظ: أن الإمام عليه السلام ذكر آدم وبيّن فضله وصفاته وعصمته، وبين بشكل واضح من خلال خطبه ومواعظه وحكمه الاعتقاد بالانبياء عليهم السلام، وعصمتهم؛ اذ نعتهم بأفضل

بـين عليه السلام أن الانبيـاء عليهم السلام، اصطفـاء مـن الله الى خلقـه، وليـس من اختيـار الناس حسـب رغباتهـم واهوائهم؛ فلـذا نجد أن عقيـدة النبوة -في فكـره عليه السلام- جليـة، وواضحـة وصريحـة، قـد ذكرهـا في مواطـن كثـيرة، ومناسـبات متعددة

المعـادن منبتًـا، وأعـز الأرومـات مغرسًـا، وختـم ذلـك بالنبـي محمـد صلى الله عليه وآله وعترتـه الطاهـرة حيث تـدل عـلى عصمتـه آيـات كثـيرة، وتوجّهـا بآيـة التطهـير فقـال عـزَّ مـن قائـــل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّـهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحـزاب: ٣٣]، ففـي تفسـير فـرات الكـوفي قـال: حدثنـا إسـماعيل بـن أحمـد بـن الوليـد الثقفـي معنعنـا: عـن ابـن عبـاس قـال: ((قـال رسـول الله صـلى الله عليـه وآلـه: فـو الله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّـهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فأنـا وأهـل بيتـي مطهـرون مـن الآفـات والذنـوب؛ ألا وإن إلهـي اختـارني في ثلاثـة مـن أهـل بيتـي عـلى جميـع أمتـي، أنـا سـيد الثلاثـة وسـيد ولـد آدم إلى يـوم القيامـــة ولا فخـر))[١٥].

وخلاصـة القـول: لقـد وجدنـا مـن خـلال المقـال في فكـر الإمـام أمـير المؤمنـين عليه السلام أنّـه بـيّن عقيـدة النبـوة ودافـع عنهـا وعـن النبـي محمـد صلى الله عليه وآله بـكل مـا أوتي مـن قـوة وقـد فـدى النبـي صلى الله عليه وآله بنفسـه ليلـة الهجـرة، وكان لـه سـدًا منيعًـا في كل المعـارك التـي خاضهـا أثنـاء دعوتـه، مقاتـلًا عـلى التنزيـل في حياتـه، وعـن التأويـل بعـد استشـهاده، وكان دفاعـه المتفـاني عنـه في حياتـه حتـى يـؤدي رسـالته ويحقـق اهدافهـا التـي منهـا:

١- ليسـتأدي الى النـاس ميثـاق فطـرة الله الـذي واثقهـم بـه في عـالم الـذر، وقـــال لهـم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعـراف: ١٧٢].

٢- التذكـير بنعمـة التوحيـد والهدايـة واتباع الأنبيـاء، والمرسـلين، والهـداة والصالحـين، والأئمـة الطاهريـن عليهم السلام، والطاعـة لهـم، والسـير عـلى صراطهـم المسـتقيم الى قيـام يـوم الديـن.

٣- أن يحتـجّ على كل النـاس بتّبليغ الرسـالة، حتـى اتمـام النعمـة وتبليـغ الوصيـة بكتـاب

الله وعترته الطاهرة حتى لا تضل الأمة من بعده أبدًا، أو يقول قائل لله يوم القيامة لولا أرسلت إلينا رسولًا هاديًا، ومبلغًا مرشدًا، لنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى.

٤- ليُثيرَ للناس دفائن العقول، بتعليم كتاب الله، وبيان وتبيين أصوله وفروعه، وحلاله وحرامه والمحكم والمتشابه منه، وخاصه وعامه ومطلقه ومقيده، ويترك فيهم سنته وعترته، مرجعًا وملاذًا لهم في سنين الحيرة والضلالة، وأيام الفتنة.

٥- ليُري الناس آيات المقدرة، ودلالات العزة؛ من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع، ومعايش تحييهم، وآجال تفنيهم، وأوصاب تهرمهم، وأحداث تتابع عليهم.

٦- أن يبين لهم أنّه لم يخل الله سبحانه خلقه من نبيّ مرسل، أو كتاب منزل، أو حجّة لازمة، أو محجّة قائمة، حيث أوصاهم بذريته، وسمى لهم الخلفاء من بعده، و بيّن لهم أنه لا تخلو الأرض من حجة، إما ظاهرًا مشهورًا، أو غائبًا مستورًا الى ان يرث الأرض ومن عليها من يشاء من أوليائه، ويظهر دينه على الدين كله ولو كره الكافرون.

وقبل كل ذلك فقد بين عليه السلام أن الأنبياء عليهم السلام، اصطفاء من الله الى خلقه، وليس من اختيار الناس حسب رغباتهم وأهوائهم؛ فلذا نجد أن عقيدة النبوة -في فكره عليه السلام- جلية، وواضحة وصريحة، قد ذكرها في مواطن كثيرة، ومناسبات متعددة، ولقد أوجزنا منها ما تيسر في هذا المقال الموجز، ونسأل الله التوفيق والسداد على خطى الأنبياء فهو المنعم علينا ليهدينا بهم من ظلمات الجهالة والضلالة، الى نور النعمة والهداية، والإيمان بإذنه، انَّهُ نعم الولي الحميد.

---

١. المجلسي، بحار الأنوار: ١٥/ ٣٦١.
٢. حبيب الله الهاشمي الخوئي، منهاج البراعة:٢٧٨.
٣. المصدر نفسه: ٢٨٣.
٤. المشهداني، كنز الدقائق: ٣/ ٦١.
٥. ظ: نهج البلاغة: الخطبة (٨٩).
٦. الكليني، الكافي: ١/ ١٧٧.
٧. الصفار، بصائر الدرجات: ٥٠٧.
٨. نهج البلاغة: ١/ ٢٣.
٩. الشريف الرضي: نهج البلاغة: ٢/ ١٩.
١٠. المجلسي، بحار الأنوار: ١٦/ ٣٧٩.
١١. نهج البلاغة: ١/ ١١٩.
١٢. المجلسي، بحار الانوار: ١١/ ٦١.
١٣. الراوندي، منهاج البراعة: ٢/ ١٧٤.
١٤. المصدر نفسه: ١/ ٢٣٨.
١٥. فرات الكوفي، تفسير فرات: ٣٣/ ١٢.

بلسانٍ علويٍّ مبين

- التقوى في فكر أمير المؤمنين عليه السلام قـــراءة في الأثر الاجتماعي
  الشيخ د. كاظم صيهود النصيري
  جامعة واسط - كلية التربية

- شهـر رمضـــان في نهج البـلاغـة تأمـلات الإمـام علي عليه السلام في الصيـــام
  م.د خديجة حسن علي القصير
  جامعة الكوفة/ كلية الآداب

التقــوى في فكـر أميـر المؤمنين عليه السلام قــراءة في الأثـــر الاجـتـمـاعـي

الشيخ د. كاظم صيهود النصيري
جامعة واسط - كلية التربية

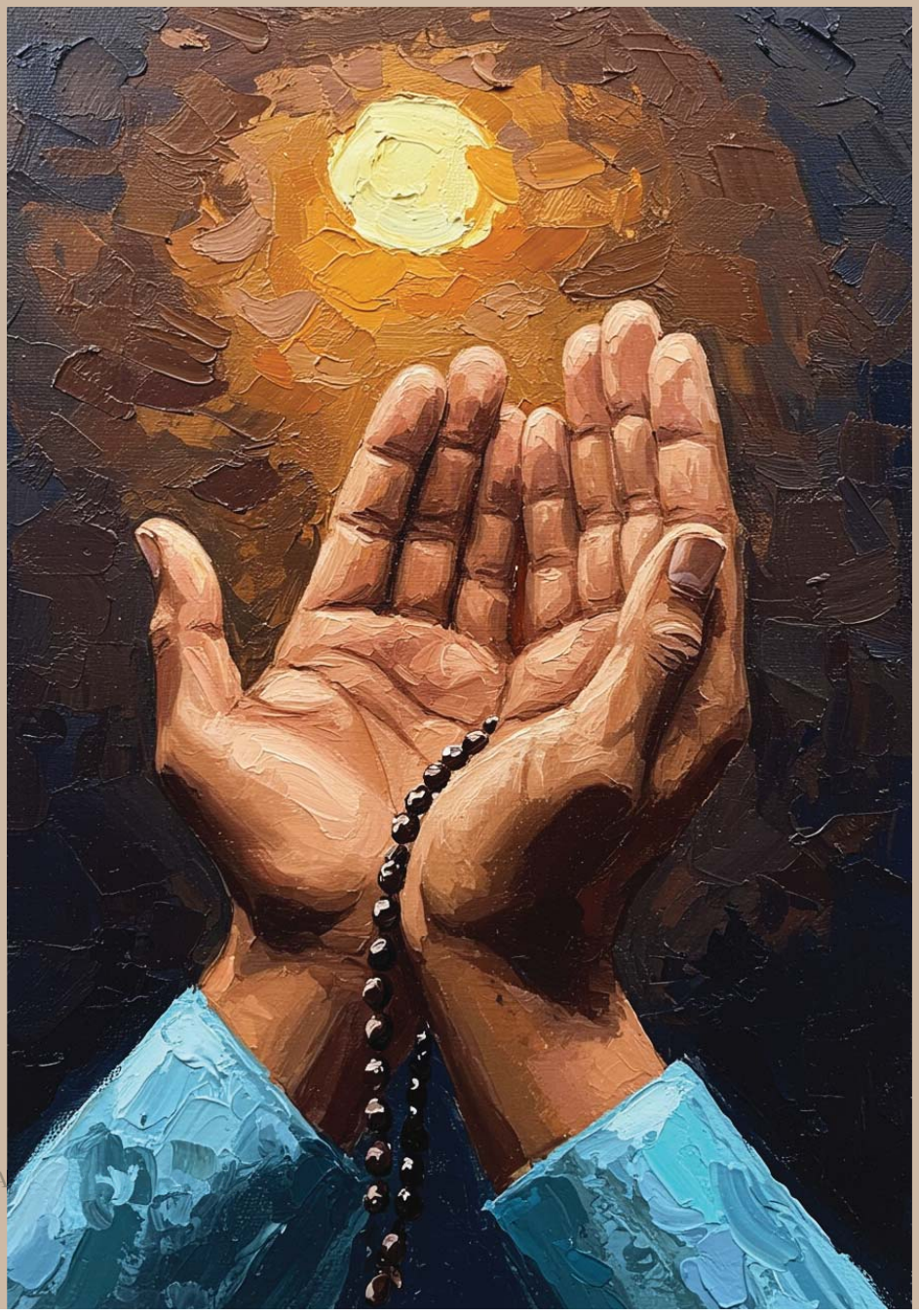

التقوى هي من أسمى مراتب عبادة الله تعالى والعمل بطاعته على نورٍ من الله يرجو ثوابه ويخاف عقابه.

وأساس تقوى الله خشية الله، وذلك من عمل القلب؛ لذا أضافها القرآن الكريم إلى القلب بقوله: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[الحج: ٣٢].

فالتقوى مأخوذة من الوقاية وتعمل على تحصين المؤمن من الآثام وتمنعه من الوقوع في كل ما من شأنه أن يشغله عن ذكر الله سبحانه، وتعني الخوف من الله تعالى واتّباع أوامره والابتعاد عن نواهيه، والوقاية هي: "الحذر والاحتراز والبعد والاجتناب"[١].

التحصين من خطر الانزلاق

تتولّد (التقوى) من التمرين العملي وترويض النفس للحذر من ارتكاب المعاصي، وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى هذا المعنى إذ قال: ((إِنَّ تَقْوَى اللهِ حَمَتْ أَوْلِيَاءَ اللهِ مَحَارِمَهُ وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخَافَتَهُ حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيَالِيَهُمْ وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ))[٢].

فالتقوى تعتبر الحصن المنيع الذي يصون الإنسان أمام طغيان الشهوات، ومن هنا وصفها أمير المؤمنين عليه السلام بأنها الحصن الذي يقي الإنسان أخطار الانزلاق عندما قال: ((اعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّ التَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ وَالْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَلَا يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ أَلَا وَبِالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ الْخَطَايَا وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ الْغَايَةُ الْقُصْوَى))[٣].

كما نجده عليه السلام في نص آخر يصف التقوى بالمطايا الذُلُل التي توصل الناس إلى مأمنهم وقد قصد بذلك الجنة إذْ قال: ((أَلَا وَإِنَّ التَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا فَأَوْرَدَتْهُمُ الْجَنَّةَ))[٤].

ولا يخفى أن التقوى في فكر الإمام علي عليه السلام تعتبر أحد الأُسس الرئيسة لبناء مجتمع عادل ومتوازن، كما تعتبر قوة معنوية تُحفّز الأفراد على الالتزام بالمبادئ الأخلاقية والدينية، مما يؤدي إلى بناء مجتمع قوي ومستقر قائم على العدالة، والتعاون والصلاح.

ترسيخ الأخلاق الاجتماعية:

تُعد التقوى دافعاً قوياً في سعي الفرد نحو تطبيق العدالة في المجتمع، فقد جاء في إحدى خطب أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: ((اتّقوا الله فان في التقوى رحمةً وفرجاً لمن سار فيها))[٥].

فهذه المقولة تُظْهر أن التقوى كقيمة روحية وأخلاقية تمنح الأفراد وشرائح المجتمع والقيادات القدرة على اتخاذ قرارات عادلة تتماشى مع متطلبات العدل الاجتماعي.

أن التقوى هي الأساس الذي يحدد سلوك

الأفـراد وقـرارات الحكّام، فهـي تسـاهم بشـكل كبـير في نـشر القيـم الإنسـانية والاسـلامية في المجتمـع.

فالتقـوى تضمـن أن يتـم تطبيـق القوانـين بشـكل عـادل عـلى جميـع أفـراد المجتمـع دون تحيّز أو محاباة، والأفـراد المتقـون يسـعون لإقامـة العدل بـين النـاس ممـا يسـاهم في بنـاء مجتمـع خـالٍ مـن الظلـم.

وعـلى صعيـد ترسـيخ الأخـلاق في المجتمـع، فالتقـوى لا تقتـصر عـلى الجانـب الروحـي فقـط، بـل هـي تؤثـر في سـلوك الأفـراد وتوجهاتهـم في الحيـاة الاجتماعيـة، وتسـاهم في بنـاء مجتمـع قائـم عـلى الأخـلاق الحميـدة كالصـدق والأمانـة والاحـترام المتبـادل.

ويتضـح مـن مقولـة أخـرى لأمـير للمؤمنـين عليه السلام: ((اتقـوا الله فانـه لا يراكـم إلا وأنتـم في خـير))[٦]، أن التقـوى تُعـد معيـاراً للأخـلاق الاجتماعيـة، حيـث يُتوقـع مـن الأفـراد أن يتصرفـوا بصـدق وعدالـة في تعاملاتهـم اليوميـة، وهـذا يسـاهم في تقويـة الروابـط الاجتماعيـة التـي تسـاعد عـلى تعزيـز الثقـة بـين أفـراد المجتمـع.

تعزيز التعاون بين الأفراد:

إن التعـاون بـين أفـراد المجتمـع يتـم مـن خـلال تشـجيعهم عـلى مسـاعدة بعضهـم البعـض والعمـل مـن أجـل الصالـح العـام، ذلـك أن التقـوى مـن خـلال رؤيـة أمـير المؤمنـين عليه السلام تحـثّ الأفـراد عـلى التعـاون والنفـع المتبـادل، ومـن هنـا يقـول عليه السلام: ((التقـوى جامعـة للمعـارف ورادّة للمناصحـة))[٧]، وهـذا يعنـي أن التقـوى تسـاهم في:

١- تقويـة أواصر التضامـن الاجتماعـي الـذي يُسـهم في بنـاء مجتمـع قـوي ومتماسـك.

٢- حـلّ النزاعـات؛ ذلـك أن المجتمـع المتقـي يميـل إلى التعامـل مـع الخلافـات بطـرق سـليمة وعادلـة.

كان أمـير المؤمنـين عليه السلام يـرى أن السـلام الداخـلي لـدى الأفـراد يسـهم في بنـاء مجتمـع مسـالم ينبع مـن تقوى الله والعمـل الصالـح.

السلام الاجتماعي:

تساهم التقوى في تحقيق السلام الاجتماعي من خلال تشجيع الأفراد على التحلّي بالمسؤولية والالتزام بالأخلاق الحميدة.

كان الإمام علي عليه السلام يرى أن السلام الداخلي لدى الأفراد يسهم في بناء مجتمع مسالم ينبع من تقوى الله والعمل الصالح، حيث يقول في إحدى خطبه: ((ومن اتقى الله عمل بما يُرضي الله))[٨]، وهذا ما يؤثر إيجاباً على استقرار المجتمع وتقليل النزاعات والصراعات الداخلية من جهة وتعزيز العلاقات الاجتماعية بين الأفراد الذين يعملون بصدق واخلاص من جهة أخرى.

العدالة في الحكم:

إن التقوى لا تقتصر على الأفراد فحسب، بل تمتد إلى الحكام أيضاً، فأمير المؤمنين عليه السلام يرى أن الحاكم المتقي هو الذي سيحكم بالعدل، لأنه سيضع مخافة الله أمام عينيه في كل قراراته، وجاء في إحدى رسائله عليه السلام إلى مالك الأشتر (رضوان الله عليه) أنه قال: (واعلم أنك إنما تحكم في الناس بما قدّر الله لك...)[٩].

إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يؤكد هنا أن الحاكم المتقي يجب أن يحكم بما يُرضي الله ويُعزّز العدالة والمساواة بين الناس، لتحقيق الاستقرار في المجتمع.

الخلاصة:

يتضح مما تقدم أنّ التقوى في فكر ورؤية أمير المؤمنين عليه السلام هي الأساس الذي يُبْنى عليه المجتمع العادل والمستقر والوسيلة للحدّ من ارتكاب المعاصي والذنوب والسبيل المناسب للهروب من المشاكل.

فمن خلال التقوى يتحقق العدل وتسود المساواة ويؤسس لنظام اقتصادي واجتماعي سليم يسوده التضامن والوئام ويكبح جماح الفساد الإداري بين الأفراد، وذلك أنّ التقوى تمنع الظلم وتُحفّز على الأخلاق الحميدة، مما يساهم في بناء مجتمع قائم على العدالة، السلام والرفاهية.

---

١. ابن منظور، لسان العرب: ١/ ٢٣.
٢. نهج البلاغة: ١/ ٢٢٤.
٣. نهج البلاغة: ٢/ ٥١.
٤. نهج البلاغة: ١/ ٤٨.
٥. ظ: نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٣.
٦. ظ: نهج البلاغة، الخطبة: ١٩١.
٧. نهج البلاغة، الحكمة: ٢٢٩.
٨. نهج البلاغة، الخطبة: ١١٤.
٩. نهج البلاغة: رسالة ٥٣ / عهد الإمام لمالك الأشتر.

شهـر رمضـان في نهج البـلاغـة
تأمـــلات الإمـــام علي عليه السلام في الصيـــام

م.د خديجة حسن علي القصير
جامعة الكوفة/ كلية الآداب

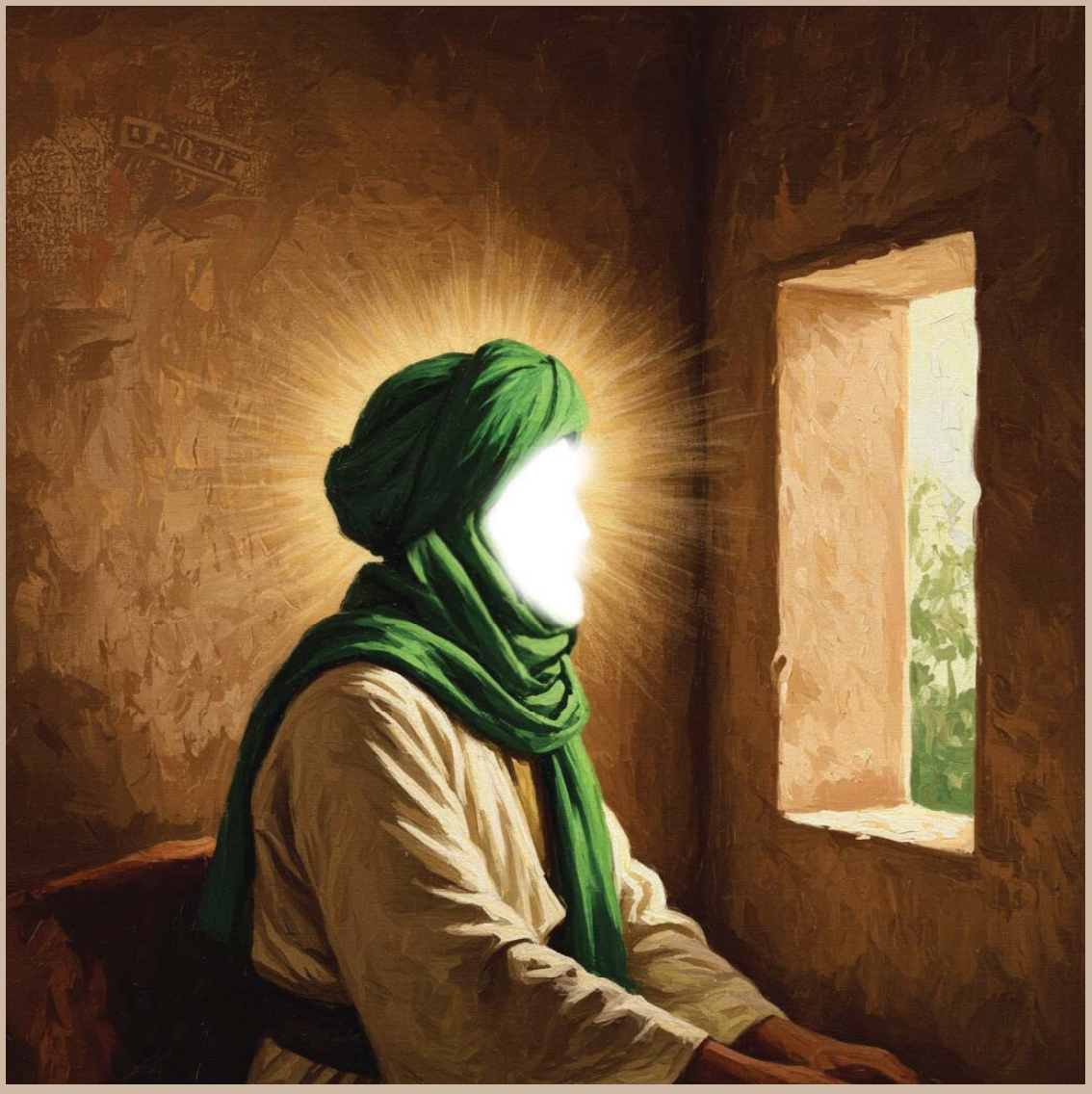

يُعد صيام شهر رمضان الكريم من أهم الشعائر الدينية التي يمارسها المسلمون في جميع أنحاء العالم، فهو ليس مجرد امتناع عن الطعام والشراب، بل هو تجربة روحية عميقة تهدف إلى تعزيز التغذية الروحية والنفسية.

من خلال هذا الشهر المبارك يتوجه المسلمون إلى الله تعالى بالتوبة والعبادة، مما يسهم في تقوية علاقتهم مع الخالق.

تطهير النفس وتزكيتها:

يمثل الصيام وسيلة لتطهير النفس وتزكيتها، فهو يتيح للناس فرصة للتفكر في معاني الحياة، والتواضع، والتضامن مع الفقراء والمحتاجين، كما يُعزز من الوعي الذاتي ويشجع على ممارسة الفضائل مثل الصبر، والإخلاص، والكرم، من خلال هذه التجربة الجماعية، يجد المسلمون فرصة للتواصل مع مجتمعهم، مما يعزز من قيم المحبة والتعاون.

ومن المسلّمات الضرورية على أهمية هذا الشهر الفضيل أن المسلم يتجاوز فيه كل الأبعاد الجسدية وصولاً إلى عمقه الروحي، إذ يُعدّ فرصة لإعادة تقييم الأولويات وتعزيز القيم الإنسانية والدينية فهو فرصة لتوثيق العلاقة مع الله، واستكمال النفس من خلال العبادة والدعاء، مما يعزز من شعورهم بالسكينة والطمأنينة.

إن شهر رمضان وسيلة لتزكية النفس، إذ يساعد على التخلص من العادات السيئة ويعزز من الفضائل مثل الصبر والإخلاص، بل ويوفر شهر رمضان فرصة للتفكر في معاني الحياة وأهمية التضامن مع الآخرين، مما يعزز من الوعي الذاتي من خلال تجربة الجوع والعطش، فيتعاطف الصائمون مع الفقراء والمحتاجين، مما يعزز من قيم الكرم والعطاء وهذه الجوانب الروحية تجعل من هذا الشهر الفضيل مدة مميزة للتغذية الروحية والسعي لتحقيق التوازن بين الجوانب المادية والروحية في حياتهم[1].

الصيام عند أمير المؤمنين عليه السلام:

لا يخفى علينا أنَّ الصيام له مكانة عظيمة في حياة المسلمين، ويُظهر لنا الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، في خطبه وكلماته في "نهج البلاغة" رؤيته العميقة للصيام ودوره في حياة المؤمنين.

وقد ترجم لنا عليه السلام هذه الرؤية عبر خطبه وأقواله المتناثرة في صفحات كتابه "نهج البلاغة"، أورد منها قوله عليه السلام: ((إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ...))[2].

وهذا ما يؤكد قوله عليه السلام في فضيلة الصيام وأهميته: ((الصيام اجتناب المحارم كما يمتنع الرجل من الطعام والشراب))[3]، وجاء في موضع آخر إنه قال عليه السلام: ((كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالظَّمَأُ وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ وَالْعَنَاءُ حَبَّذَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ))[4].

وفي هذا الصدد يورد العلامة المجلسي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((إن الصيام ليس من الطعام والشراب وحده، إنما للصوم شرط يحتاج أن يحفظ حتى يتم الصوم، وهو صمت الداخل أما تسمع ما قالت مريم بنت عمران: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾[مريم: ٢٦] يعني صمتا، فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم عن الكذب، وغضوا أبصاركم، ولا تنازعوا ولا تحاسدوا))[5].

إن الصيام في منظور أمير المؤمنين عليه السلام هو وسيلة للتقرب إلى الله تعالى واختبـار للعبد إذ قال عليه السلام: ((فرض الله الصيام ابتلاء لأخلاق العبد))[٦]، وهو فريضة واجبة أوجبها الله على العباد كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[سورة البقرة، الآية:١٨٣] فكان ثمرة الصيام التقوى.

وروي عن الإمـــام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، أنه قال عليه السلام: ((لذة النداء أزال تعب العبادة))[٧].

وجاء في عيون الأخبار في باب العلل التي ذكر الفضل بن شاذان في آخرها أنه سمعها من الإمام الرضا عليه السلام إنه قال: ((فلم أمر بالصوم؟ قيل: لكي يعرفوا ألم الجوع والعطش فليستدلوا على فقر الآخرة وليكون الصائم خاشعا ذليلا مستكينا مأجورا محتسبا عارفا صابرا على ما أصابه من الجوع والعطش فيستوجب الثواب مع ما فيه من الانكسار عن الشهوات وليكون ذلك واعظا لهم في العاجل ورائضا لهم على أداء ما كلفهم ودليلا لهم في الآجل وليعرفوا شدة مبلغ ذلك على أهل الفقر والمسكنة في الدنيا فيؤدوا إليهم ما افترض الله لهم في أموالهم))[٨].

وصايا للصائم:

نستطيع أن نستشف ممـــا تقدم أنَّ أمـــير المؤمنين عليه السلام كان يهتم بقضية صيام شهر رمضان المبارك اهتماما كبيرا إذ نجده عليه السلام يحث على أمور منها:

ـ أهمية النية: شدَّد عليه السلام على ضرورة أن تكون النية خالصة لله عند الصيام، حيث إن النية هي أساس قبول العمل.

ـ التقوى والصبر: ربط عليه السلام بين الصيام والتقوى، موضحًا أن الصيام يُعد وسيلة لتعزيز الصبر والقدرة على التحمل.

ـ الروحانية: تحدث عليه السلام عن أن الصيام يسهم في تزكية النفس وتنقيتها، مما يجعل الصائم أقرب إلى الله.

ـ مغفرة الذنوب: يشير عليه السلام إلى أن الصيام يُعد وسيلة لمغفرة الذنوب وزيادة الحسنات.

ـ التعاطف مع الاخرين: يذكر عليه السلام كيف أن الصيام يُعزز من التعاطف مع الفقراء والمحتاجين، مما يُشعر الأغنياء بمعاناة الآخرين.

وبهذا فإن هذه الأقوال إنما تُبرز فلسفة علي بن أبي طالب عليه السلام حول الصيام كعبادة متكاملة تُعزز الروحانية والأخلاق، وتجعل الإنسان أكثر قربًا من الله، كما تُظهر رؤيته عليه السلام للصيام في شهر رمضان من خلال "نهج البلاغة" بعمق الفهم الإسلامي للصيام كعبادة شاملة تتجاوز مجرد الامتناع عن الطعام والشراب، وتُبرز كلماته أهمية النية، والأبعاد الروحية، والتفاعل الاجتماعي، والتأمل، وتعزيز الأخلاق، مما يجعل الصيام فرصة لتحقيق التكامل الروحي والأخلاقي.

---

١. ظ: محمد متولي الشعراوي، الصيام في الإسلام: ٥٥-٦٠.
٢. نهج البلاغة، الخطبة: ١١٠.
٣. المجلسي، بحار الانوار: ٩٣/ ٢٩٤.
٤. نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٤٥.
٥. المجلسي، بحار الانوار: ٩٣/ ٢٩٤.
٦. نهج البلاغة، الحكمة: ٢٥٢.
٧. الكاشاني، التفسير الصافي: ١/ ٢١٨.
٨. الصدوق، عيون اخبار الامام الرضا:١/ ١٣٢.

الصراط المستقيم

- روايات مقتل الإمـــــام علي عليه السلام
  دراسة تحليلية

الشيخ فوزي آل سيف
المملكة العربية السعودية

- شذرات تربوية من الوصية الأخيرة
  للإمام علي عليه السلام

أ.د. نجم عبد الله غالي
جامعة ميسان - كلية التربية

روايات مقتل الإمام علي عليه السلام دراسة تحليلية

الشيخ فوزي آل سيف
المملكة العربية السعودية

شهد شهر رمضان المبارك حدثا عظيما أثّر على مسيرة الإسلام تأثيراً مباشراً، وهو اغتيال أمير المؤمنين علي عليه السلام في مسجد الكوفة سنة ٤٠ للهجرة، على يد عبد الرحمن بن ملجم المرادي وهو أحد الخوارج الذين نجوا من معركة النهروان التي وقعت بين الخوارج وبين أصحاب الإمام علي عليه السلام.

هنا عدة مسائل ترتبط بعملية الاغتيال:

الأولى: في كيفية الاغتيال ووقته، وهل كان في صلاة الفجر أو في نافلتها؟ إذ يترتب على كلٍّ منهما بعض الأسئلة!

والثانية: هل كان لأهل الشام وقيادتهم دورٌ في تخطيط أو تمويل تلك العملية؟

والثالثة: هل كان الإمام يعلم بوقت مقتله؟ وإذا كان يعلم ألا يعد ذلك إلقاءً بالنفس في الهلكة وهو محرم؟

رواية الاغتيال:

مجمل الرواية عن اغتيال الإمام: أنَّه عليه السلام كان ليلة التاسع عشر من شهر رمضان في بيت إحدى بناته وقد أفطر هناك على طعام بسيط، ثم كان يسترجع طوال ليلته ويخبر أنها هيَ الليلة الموعودة، وأنه ما كُذب فيها ويوطّن نفسه على لقاء الموت! وأنه بعدما أحيا ليلته بالعبادة والصلاة تهيأ لينصرف إلى مسجد الكوفة، وبينما كان الإوز في فناء الدار يصيح في وجهه وكأنه يستشعر وقوع مصيبةٍ، عالج باب الدار فانحل مئزره، فأخذ يشده وينشد:

شد[1] حيازيمك للموت فإنَّ المـــوت لاقيكـا
ولا تجزع من المـــوت إذا حـــلَّ بواديكـا
كما أضحكك الدهـــر كذاك الدهـر يبكيكـا

وبعدما وصل إلى المسجد وأذَّن في المأذنة (بناءً على ما قيل) نزل يوقظ النائمين في فناء مسجد الكوفة، وكان من بينهم ابن ملجم المرادي الذي كان يخفي سيفه تحت ردائه، فلما صار الإمام إلى محراب صلاته، وبدأ بالصلاة (النافلة أو الفريضة) قام ابن ملجم واختبأ خلف أسطوانة المسجد فلما هوى الإمام للسجدة من الركعة الأولى ورفع رأسه هوى عليه ابن ملجم بسيفه فشق رأسه.

وتذكر الروايات في مصادر الإمامية أن أموراً غيبيةً قد ترافقت مع تلك الضربة، منها أنه سمع نداء بين السماء والأرض: تهدمت والله أركان الهدى وانفصمت العروة الوثقى قتل ابن عم المصطفى.

أما بالنسبة للمسألة الأولى وهي هل كان في وقت الفريضة أو النافلة؟ فقد يورد على كون الاغتيال في وقت الفريضة أنه كيف يمكن ذلك مع وجود المئات ـ إن لم يكن أكثر ـ يصلون خلف أمير المؤمنين عليه السلام؟ فيستطيع هذا أن يتخفّى بين هذه الجموع، ولا سيما إذا ضمَّ لذلك ما نقل من أن ابن ملجم صرخ قبل أن يضربه بالسيف: الحكم لله لا لك يا علي؟

والظاهر من مسرح العملية وحوادثها والروايات التاريخية فيها ـ لا سيما القديمة ـ أن ضربة ابن ملجم للإمام عليه السلام كانت في نافلة الفجر التي هي قبل الفريضة للجهات التالية:

١- أن ابـــن ملجم كان يريـــد أن يقتل الإمـــام عليه السلام وينجو بنفسه، فلم يكن يريد أن ينفذ عملية انتحارية يقتل فيها لاسيما إذا قبلنا الروايات التي تشير إلى دور قطام (زوجته أو مخطوبته) في الأمر، فما فائدة أن يقتل الإمام ثم يُقبَض عليه ويقتل؟ ولا ريب أن قتله إياه في صلاة الفجر الفريضة مع وجود جموع الناس لن يتيح له فرصة النجاة! بخلاف ما إذا ضربه والمسجد شبه خالٍ من المصلين وهو وقت النافلة وقبل إقامة صلاة الجماعة.

٢- إن هذه الفرضية تجيب على كل الأسئلة التي لا تستطيع الفرضية الأخرى الإجابة عنها؛ كالسؤال أين كان الحسنان وبنو هاشم وخيرة أصحاب الإمام، فإن تأخرهم عن النافلة ليس بمستنكر بخلاف تأخرهم عن صلاة الجماعة للفريضة الواجبة، ويفسر ما جاءت به الروايات من أن بني هاشم وغيرهم لما سمعوا بالهتاف السماوي هرعوا إلى المسجد مسرعين فوجدوا الإمام عليه السلام مضروبا بالسيف، فلا تفسير لهذا على القول بأنه ضرب في وقت الفريضة إذ لا معنى لأن يكونوا "هرعوا وأسرعوا بالمجيء" بينما على الفكرة الأخرى يكون واضحًا.

٣- إن هناك من الروايات التاريخية ما فيه صراحة في أن الضربة كانت وقت النافلة، فمن ذلك ما نقله ابن أعثم (ت ٣١٤ هـ) في الفتوح ((وجاء عليٌّ رحمه الله إلى باب دارٍ مفتحةٍ ليخرج، فتعلَّق الباب بمئزره فحلَّ مئزره وهو يقول: اشدُد حيازيمك للموت فإنَّ الموت لاقيكا... قال: ثم مضى يريد المسجد وهو يقول:

خلوا سبيل المؤمـــن المجاهـــد
في الله لا يعبـــد غير الواحـــد

قال: ثم جاء حتى وقف في موضع الأذان، فأذَّن

ودخل المسجد، فجعل يُنبِّه مَن في المسجد من النيام، ثم صار إلى محرابه فوقف فيه، فافتتح الصلاة، وقرأ، فلمَّا ركع وسجدَ سجدةً واستوى قاعداً، وأراد أنْ يسجد الثانية ضربه ابنُ ملجم ضربةً على رأسه، فوقعت الضربةُ على الضربة التي كان ضربَها عمرو بنُ عبد ود يوم الخندق بين يدي النبيِّ ﷺ، ثم بادر فخرج من المسجد هارباً، وسقط عليٌّ رحمة الله عليه لِمَا به، وتسامعَ الناسُ بذلك وقالوا: قُتل أمير المؤمنين ودنت الصلاة، فقام الحسنُ بن علي فتقدَّم فصلَّى بالناس ركعتين خفيفتين))[٢].

٣- إنه من خلال ما تقدم ويأتي ستكون الروايات التي ذكرت من أن ابن ملجم ومعه شبيب قد اعترضا الإمام عليه السلام وهو يدخل المسجد وأن شبيبا ضرب الإمام بسيفه فأخطأه ووقعت الضربة في الحائط، فضربه ابن ملجم على رأسه فصرعه، مما لا ينبغي الالتفات إليه، وهي لا تتحدث عن أمير المؤمنين الذي كان خياله يخيف عشرات من أمثال ابن ملجم! فهل كان الإمام ينتظرهما أن يضربه أحدهما بسيفه ويخطئه ثم يتقدم الآخر ويضربه بسيف آخر، وهو واقف مكتوف اليدين لا يحرك ساكنا حتى يجهزا عليه؟ هذا بالإضافة إلى ما قام عليه ما يشبه إجماع المؤرخين والمحدثين من أنه عليه السلام شهيد الصلاة والمحراب.

من له دور في حادثة الاغتيال؟:

أما المسألة الثانية: هل كان لمعاوية وقادة الشام من دور في مقتل الإمام بنحوٍ من الأنحاء؟

فإنه قد ذهب إلى الجواب بالإيجاب بعض الباحثين؛ ومنهم الشيخ باقر شريف القرشي، فقد ذكر في كتابه: حياة الإمام الحسين عليه السلام ما خلاصته[٣]:

أنّ مؤامرة القتل لمْ تقتصر على الخوارج بل كان للحزب الأُموي ضلع كبير فيها ويدعم ذلك:

١ ـ أنّ أبا الأسود الدؤلي ألقى تبعة مقتل الإمام على بني أُميّة وذلك في رثائه الإمام عليه السلام فقد جاء فيها:

ألا أبلـغ معاويـةَ بنَ حـربٍ
فلا قـرّتْ عيـونُ الشامتينـا
أفي شهـر الصيـامِ فجعتمونـا
بخيرِ النـاس طُـرّاً أجمعينـا
قتلتُمْ خيرَ مَـنْ ركـب المطايـا
ورحّلها ومَـنْ ركـب السفينا

ومِن الطبيعي أنّ أبا الأسود لمْ ينسب هذه الجريمة لمعاوية إلاّ بعد التأكد منها فقد كان الرجل متحرّجاً أشدّ التحرّج فيما يقول.

٢ ـ أنّ القاضي نعمان المصري وهو مِن المؤرّخين القُدامى قال ما نصه: وقيل: إنّ معاوية عامَلَه ـ أي عامل ابن ملجم ـ على ذلك – أي على اغتيال الإمام عليه السلام ـ ودسّ إليه فيه وجعل له مالاً عليه.

٣ ـ وممّا يؤكد اشتراك الحزب الأُموي في المؤامرة هو أنّ الأشعث بن قيس قد ساند ابن ملجم ورافقه أثناء عملية الاغتيال فقد قال له: النَّجا فقد فضحك الصبح؛ ولمّا سمعه حِجْر بن عدي صاح به: قتلته يا أعور! وكان الأشعث مِن أقوى العناصر المؤيدة

إن أمير المؤمنين عليه السلام كان له أعداء كثيرون ـ وبدرجات مختلفة ـ قد يكون أشرس هؤلاء هم الخوارج - وهم الذين نفذوا عملية الاغتيال، لكن سيستفيد من نتيجتها معاوية وأتباعه.

للحزب الأُموي فهو الذي أرغم الإمام عليه السلام على قبول التحكيم وهدّد الإمام عليه السلام بالقتل قبل قتله بزمان قليل كما كان عيناً لمعاوية بالكوفة.

إنّ المؤامرة ـ كما يقول الرواة ـ قد أُحيطت بكثير مِن السرّ والكتمان فما الذي أوجب فهم الأشعث ودعمه لها لولا الإيعاز إليه مِن الخارج؟!

٤ ـ إنّ مؤتمر الخوارج قد انعقد في مكة أيّام موسم الحجّ وهي حافلة ـ مِن دون شك ـ بالكثيرين مِن أعضاء الحزب الأُموي الذين نزحوا إلى مكة لإشاعة الكراهية والنقمة على حكومة الإمام عليه السلام وأغلب الظنّ أنّهم تعرّفوا على الخوارج الذين كانوا مِن أعدى الناس للإمام عليه السلام فقاموا بالدعم الكامل لهم على اغتيال الإمام عليه السلام.

وممّا يساعد على ذلك أنّ الخوارج بعد انقضاء الموسم أقاموا بمكة إلى رجب فاعتمروا في البيت ثمّ نزحوا إلى تنفيذ مخططهم فمِن المحتمل أنْ يكونوا في طيلة هذه المدّة على اتصالٍ دائم مع الحزب الأُموي وسائر الأحزاب الأُخرى المُناهضة لحكم الإمام عليه السلام.

٥ ـ والذي يدعو إلى الاطمئنان في أنّ الحزب الأُموي كان له الضلع الكبير في هذه المؤامرة أنّ ابن ملجم كان معلّماً للقرآن، وكان يأخذ رزقه مِن بيت المال، ولمْ تكن عنده أيّة سعة مالية فمِنْ أين له الأموال التي اشترى بها سيفه ـ الذي اغتال به الإمام عليه السلام ـ بألف وسمّه بألف؟! ومِنْ أين له الأموال التي أعطاها مهراً لقطام وهو ثلاثة آلاف وعبد وقَينة؟! كلّ ذلك يدعو إلى الظنّ أنّه تلقّى دعمًا ماليًا مِن الأُمويِّين إزاء قيامه باغتيال الإمام عليه السلام.

٦ ـ وممّا يؤكد أنّ ابن ملجم كان عميلاً للحزب الأُموي لاتصاله الوثيق بعمرو بن العاص وصاحبه منذ عهدٍ بعيدٍ؛ فإنّه لمّا فتح ابن العاص مصر كان ابن ملجم معه وكان أثيرًا عنده فقد أمره بالنزول بالقرب منه.

وأكبر الظنّ أنّه أحاط ابن العاص علماً بما اتفق عليه مع زميليه مِن عملية الاغتيال له وللإمام عليه السلام ومعاوية؛ ولذا لمْ يخرج ابن العاص إلى الصلاة وإنّما استناب غيره فلم تكن نجاته وليدة مصادفة وإنّما جاءت وليدة مؤامرة حيكت أُصولها مع ابن العاص؛ هذه بعض الأُمور التي توجب الظنّ باشتراك الحزب الأُموي في تدبير المؤامرة ودعمها".

ومثله ذكر الشيخ الريشهري في كتابه موسوعة الإمام علي فقال ما خلاصته بأنه لا يوجد سند تاريخي يشير إلى دور معاوية في قتل الإمام، لكن هناك قرائن لا يمكن للباحث أن ينكر في ضوئها دور معاوية في ذلك؛ فإنه كان بصدد قتل الإمام؛ لأنّه لن يصل

إلى الخلافة طالما بقي عليّ عليه السلام حيّا!، هذا من جهة، ومن جهة أُخرى فإنّ قتل الإمام في ساحة المعركة لم يكن أمرا ميسورًا، فأفضل السبل لإزاحة الإمام عن الطريق هو اغتياله، وقد جرّبه معاوية سابقا مع مالك الأشتر، وأفضل من ينفّذ الاغتيالَ أنصار سابقون للإمام؛ وهم بقايا الخوارج الذين حاربوا الإمام مؤخرًا، وكانوا يفكّرون بالانتقام لقتلاهم.

وأشار الريشهري ـ كما الشيخ القرشي ـ إلى دور الأشعث بن قيس الكندي، الذي كان قد هدد الإمام بالقتل ووصفه الإمام بالنفاق، وكان له علاقات خفية بمعاوية، ويشير علمه المسبق بالعملية وعلاقة ابن ملجم معه قبل العملية يشير إلى وجود يد لدمشق فيها[٤].

والذي نعتقده ما يلي:

١- إن ما أشار إليه العلامة الريشهري من أنه لا يوجد أي سند تاريخي يشير إلى دور أموي في اغتيال الإمام عليه السلام، هو صحيح تماما! ولا ينفع توجيه المرحوم القرشي بأن عدم وجود ذلك لأن المؤرخين أحاطوه بالإخفاء!

٢- أنه ينبغي التفريق بين التخطيط للعملية وبين الاستفادة من وقوعها! فمن الممكن أن تكون حادثة واحدة ينفذها شخص أو جهة، لكن من يستفيد من وقوعها يكونون كثيرين أو جهات متعددة، وما نحن فيه هو من هذا القبيل فإن أمير المؤمنين عليه السلام كان له أعداءٌ كثيرون ـ وبدرجات مختلفة ـ قد يكون أشرس هؤلاء هم الخوارج وهم الذين نفذوا عملية الاغتيال، لكن سيستفيد من نتيجتها معاوية وأتباعه، بل سيُسَر بحصول ذلك من بقي من أصحاب الجمل بالرغم من انتهاء طموحهم السياسي، وسيسجد بعضهم لله شكرا على حصول الاغتيال!

٣- ما ذكره المرحوم القرشي من اتهام أبي الأسود الدؤلي لمعاوية بالاغتيال لم نجد له وجهًا بل ربما كان في شعره ما يشير إلى خلاف ذلك، فإن الشامت عادة هو غير المنفذ، والخطاب قتلتم"إن كان المقصود به معاوية فمن الواضح أنه غير صحيح لما سبق من عدم وجود أي سند تاريخي له، وإنما المقصود هو الخطاب للخوارج، والتهجم على معاوية وأتباعه إنما هو لجهة شماتتهم وسوء استغلالهم مقتل الإمام عليه السلام، وأما ما ذكره عن القاضي نعمان المصري(ت: ٣٦٣هـ) فهو بالإضافة إلى تأخره الزماني يعني أنه بعد ثلاثة قرون من الحادثة، إنما ينقل رأيًا له لا رواية أو سندًا تاريخيًّا، فيكون حال ذلك كحال باقي الآراء ولا ميزة له، بل ربما يشار إلى أنه حيث كان في أجواء الدولة الفاطمية وقاضي قضاتها فهو في بيئة تتحرك في أجواء الأعمال السرية وما شابهها فقد تكون نظرته للاغتيال متأثرة بهذا المنهج.

٤- إن القول بعدم وجود دور لمعاوية وأتباعه في اغتيال الإمام عليه السلام لا يعني المدح لهم فقد سبق لهم أن قاموا قبل ذلك بتجييش الجيوش ضده وقتل آلاف المؤمنين بسبب ذلك، وقاموا بعده باغتيال الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

٥- نعتقد أن من جملة الاشتباهات في هذا الرأي وأدلته، هي في دور الأشعث بن قيس الكندي والذي كان شريكًا في مؤامرة الاغتيال (بما ثبت من اجتماع ابن ملجم إليه، وتشجيعه إياه على القيام بمهمته قبل الصبح، بل وكلام حجر بن عدي في

إنّ المؤامرة ـ كما يقول الرواة ـ قد أُحيطت بكثير مِن السرّ والكتمان فما الذي أوجب فهم الأشعث ودعمه لها لولا الإيعاز إليه مِن الخارج؟!

يوم الاغتيال وبعيده بساعة ومتابعته صباح ذلك اليوم)[٥]، وهذا كله لا غبار عليه، فقد تم حساب ذلك على أنه بتحريك معاوية وتخطيطه له، والحال أننا نعتقد أن مشروع الأشعث هو مشروع شخصي وهَوَسٌ استثنائي بالسلطة منذ أيام رسول الله صلى الله عليه وآله، ونستطيع أن نلحظ أن كل حركاته كانت تصب في هذا الهدف، بدءاً من (إسلامه) ثم ارتداده ثم تحالفه مع الخليفة الأول، وهكذا تآمره حتى تشكلت فكرة الخوارج، فتحالفاته وعداواته كلها ضمن مشروعه الشخصي الخاص به، لا ضمن مشروع بني أمية!

ولذلك لا نعتقد بما ذكره المرحوم القرشي ولا المرحوم الريشهري من أن علمه المسبق بالعملية وعلاقة ابن ملجم معه قبل العملية يشير إلى وجود يد لدمشق فيها!

وكذلك ما ذكر من وجود علاقة لعمرو بن العاص مع ابن ملجم وهو إشارة إلى أيام تعليمه القرآن في مصر أيام الخليفة الثاني، أي قبل عشرين سنة على الأقل! فهذا لا يثبت شيئًا، كيف وقد شهد صفين كأحد جنود الدولة المسلمة[٦] في مقابل القاسطين ومنهم عمرو بن العاص؟ ولذلك فإن ما قاله المرحوم القرشي: من أن ابن ملجم كان عميلاً للحزب الأموي وأنّه كان على اتصالٍ وثيقٍ بعمرو بن العاص وزميلاً له منذ عهدٍ بعيدٍ، وأكبر الظنّ أنّه أحاط ابن العاص علماً بما اتفق عليه مع زميليه مِن عملية الاغتيال له وللإمام ولمعاوية" لا نجد عليه دليلًا أصلًا!

٦- وأخيرا فما يصنع أصحاب هذا الرأي مع ما هو المعروف تاريخيا من أن الخوارج الثلاثة، اتفقوا على اغتيال الإمام ومعاوية وعمرو بن العاص؟ وأن أحدهم ضرب معاوية فأصاب إليته، والثاني ضرب من يصلي بظن أنه عمرو فتبين أنه القاضي خارجة! وأصاب ابن ملجم عليًّا عليه السلام ؟

فهل اتفق معاوية أو عمرو مع الخوارج أن يقتل الخوارج إياهما؟

وإجابة المرحوم الريشهري في الموسوعة ـ مع إقراره بالإشكال ـ بأن الضربة التي أصابت معاوية، كانت لعبة سياسية أو أنها كسائر المؤامرات غير المباشرة التي تحوكها وتنفّذها العناصر المعارضة، قد تطال نيران تلك المؤامرات المخطّطين الأصليّين! غير نافعة، فما من عاقل يرقص مع الثعابين أو يلعب مع الخوارج هذه اللعبة لاسيما وهم يعتقدون فيه أسوأ مما يعتقدون في أمير المؤمنين ويعادونه أشد من عداوتهم للإمام!

هل يعلم الإمام عليه السلام بوقت مقتله؟

أما المسألة الثالثة: هل كان الإمام يعلم بوقت مقتله؟ وإذا كان يعلم ألا يعد ذلك إلقاءً بالنفس في الهلكة وهو محرم؟

فالروايات المتضافرة تشير بأن الإمام عليه السلام كان يعلم بأنه مقتول، وليس بميت ميتة عادية! وأنه يضرب بالسيف، وأن الضربة تكون على رأسه، وأن قاتله هو أشقى من عاقر الناقة، وأن ذلك يكون في فجر التاسع عشر من شهر رمضان، وكان ابن ملجم معروفًا عند أمير المؤمنين وأصحابه أنه قاتله.[٧]

وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله، تستبق الحدث بأكثر من ثلاثين سنة وتخبر عنه!

وقد ذكرنا في كتابنا: ((من قضايا النهضة الحسينية))، جوابا عن مثل هذا السؤال مما يرتبط بالإمام الحسين عليه السلام، حيث أنهما من بابٍ واحد، وننقل بعض ما ذكر هناك، حيث إنّ مدار السؤال والجواب هناك هو قضية الحسين عليه السلام: أن التوجيه للمسألة بعدم علم الإمام بمصرعه، لا ينسجم مع ما هو المختار والمشهور من علمهم صلوات الله عليهم.

وتوجيهها بعدم وجود أخبار أو آثار أيضًا لا يتفق مع المعروف تاريخيًّا، فيبقى توجيهه مع فرض العلم بالمصرع وفيه: إما أن ينفى انطباق عنوان التهلكة عليه، فإن التهلكة بالمعنى الأخروي يعني السير في طريق لا يرضى به الله ومن المعلوم أن الطريق الذي سار عليه الحسين كان في رضا ربه.

بل حتى التهلكة بالمعنى الدنيوي أي فقدان الحياة فهي غير مرفوضة لو ترتب عليها فوائد عظيمة، فلا تعد عند العقلاء ولا عند الشرع خسارة لو كان في مقابلها شيء عظيم، ومن المعلوم عظمة الفوائد التي ترتبت على شهادة الإمام عليه السلام، بل يقال أنه لا مانع أن يتعبد الله قوما بامتحان أعظم لينالوا من المراتب[٨] ما لا يناله غيرهم فيقدمون على الموت إذا كان ذلك في رضا الله، مع علمهم بأن هذا الطريق ينتهي إلى موتهم، وهذا في أمور الجهاد واضح حيث تجتمع من القرائن لدى الذاهب إلى القتال ما يعلم علمًا عاديًّا متعارفًا أنه سيقتل، ومع ذلك يذهب، بل هناك حالات يكون غيره يعلم بموته أيضًا فضلا عنه، كما نقل أن الرسول لما وجه المسلمين لمقاتلة الروم في مؤتة، قال: إن أصيب زيد بن حارثة فجعفر بن أبي طالب على الناس فإن أصيب جعفر فعلى الناس عبد الله بن رواحة، فعلم المسلمون أنهم يقتلون.

وإنها لمنزلة عظيمة أن يعلم الإنسان أنه مقتول في طريق الله ومع ذلك يختار ما عند الله سبحانه.[٩]

وأما أول توجيهَيْ الشيخ المفيد رحمه الله في هذه القضية فهو على خلاف مشهور العلماء، حيث أنه قد قال ما خلاصته بأننا لا نقطع بعلم الإمام عليه السلام بتفاصيل مقتله وساعة مصرعه، وإنما المعلوم إجماعًا أنه عالمٌ بالأحكام بتفاصيلها، وأنه يعلم على نحو الإجمال بمقتله، وربما علم تفصيلًا بقاتله، أما أن يعلم بتفصيل المقتل من حيث الوقت المحدد وما شاكل فلا يوجد.

والصحيح هو توجيهه الثاني بقوله: "لا يمتنع أن يتعبّده الله تعالى بالصبر على الشهادة والاستسلام للقتل، ليبلغه بذلك علوّ الدرجات ما لا يبلغه إلّا به، ولعلمه بأنّه يطيعه في ذلك طاعة لو كلّفها سواه لم يُرِدْها، ولا يكون بذلك أمير المؤمنين عليه السلام ملقياً

إن الإمام علي عليه السلام كان يعلم أنه مقتول، وليس بميتة عادية! وأنه يضرب بالسيف، وأن الضربة تكون على رأسه، وأن قاتله هو أشقى من عاقر الناقة.

بيده إلى التهلكة، ولا معيناً على نفسه معونة تستقبح في العقول[١٠]."

وهناك جهة أخرى وهي أن المقرر عند العلماء بأن النبي أو الإمام لو علم بشيء بطريق غير عادي، فلا يصح أن يرتب الأثر على ذلك، لأنه لو فعل ذلك، يختل النظام.

فمثلاً، يعلم النبي صلى الله عليه وآله أن الأمة ستنقلب على الإمام علي عليه السلام، فكان يمكن يتتبع من سينقلب ويقتلهم أو ألّا يوصي لأنه مع علمه بالانقلاب وحصوله يكون الوصية والخطابات والغدير وغيره كله عبثًا!

وهكذا مع علمه بأن الهزيمة ستحل في غزوة أحد على المسلمين أو يعلم النبي أنه سيقتل فيها عمه حمزة! كان المفروض ألّا يخرج للمعركة! وهكذا!

وحل كل هذه القضايا هي بالقول: إن الرسول صلى الله عليه وآله والإمام إنما هو مكلف بالعلم الاعتيادي ولا بد أن يرتب الآثار عليه، أما العلوم الخاصة ـ والتي كانوا يملكونها بمنة الله وتعليمه إياهم ـ فلا ينبغي لهم ترتيب أي أثر عليها، وإلا كان لزم من ذلك اختلال النظام الاجتماعي.

ولعل هذا أحد وجوه قول أمير المؤمنين لبعض من اقترح عليه أن يقتل ابن ملجم إذا كان يعلم بأنه سيقتله مستقبلًا، أو على الأقل أن يسجنه! فكان جوابه لهم: أنه سيكون إذن يقتل غير قاتله أو يسجن غير قاتله، ومعنى ذلك أنه لم يرتكب القتل إلى ذلك الوقت، فلم يصبح قاتلا فكيف يعاقبه؟ إن ذلك يكون من مصاديق العقوبة قبل الجناية وهو غير جائز شرعًا وقانونًا.

بل ربما فتح ذلك بابًا من الشر، وهو ما نراه عند بعض الحاكمين الظالمين بما يسمونه بالضربات الاستباقية، فتراهم يسجنون شخصًا لأنهم يحتملون أن يقوم في المستقبل بعمل خطير، وهكذا.

وهذا كله من هذا الباب: أن المعصومين وقد منحهم الله تعالى علمًا خاصًا من لدنه، بحيث صار لديهم اطلاع على المستقبل لكنهم لا يرتبون الأثر عليه.

١- بعضهم ذكرها بعنوان: اشدد، وبعض الأدباء قال إن البيت هو بدون فعل الأمر.

٢- ومثلها ما ذكره العلامة المجلسي في بحار الأنوار ٤٢/ ٢٨١ من قوله: فأمهله حتى صلى الركعة الأولى وركع وسجد السجدة الأولى منها ورفع رأسه، فعند ذلك أخذ السيف وهزه، ثم ضربه على رأسه المكرم الشريف، فوقعت الضربة على الضربة التي ضربه عمرو بن عبد ود العامري،

ثم أخذت الضربة إلى مفرق رأسه إلى موضع السجود، فلما أحس الامام بالضرب لم يتأوه وصبر واحتسب، ووقع على وجهه وليس عنده أحد قائلا: بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ثم صاح وقال: قتلني ابن ملجم قتلني اللعين ابن اليهودية ورب الكعبة.

٣- ظ: باقر شريف القرشي: حياة الامام الحسين ٢/ ١٠٤- ١٠٦.

٤- ظ: الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب ٤/ ٢٥٢، ويظهر من نقله لرأي الدكتور جعفر شهيدي أنه يذهب إلى هذا بل ربما يرى أنّ المخطّط الأصلي لاغتيال الإمام كان معاوية، وكلّ ما جاء في التاريخ عن الفاعلين ليس إلّا تلفيقًا يراد منه تبرئة ساحة معاوية من جريمة اغتيال أمير المؤمنين؟ ويميل هو وبعض المؤرخين المعاصرين إلى تأييد الفرضية، وينكرون أساسا دور الخوارج في عملية الاغتيال هذه.

٥- ابن سعد: الطبقات الكبير٣/ ٣٦: ((وبعث الأشعث بن قيس ابنه قيس بن الأشعث صبيحة ضرب علي، عليه السلام، فقال: أي بني انظر كيف أصبح أمير المؤمنين، فذهب فنظر إليه ثم رجع فقال: رأيت عينيه داخلتين في رأسه، فقال الأشعث: عيني دميغ ورب الكعبة)) والدميغ: من خرج دماغه.

٦- قد ذكرنا أنه يلزم التفريق بين أصحاب الامام علي وشيعته من جهة وبين من كان في جيشه في القتال وهو الجيش الذي ورثه الإمام عن الخلفاء السابقين عليه، جيش الدولة والذي لا يدين ـ بالضرورة ـ بالولاء للإمام، بل ربما كان يعاديه، لكن قوانين التعبئة والقتال وطلب الغنائم والفيء تقتضي منه الانضمام للجيش! وابن ملجم على فرض شهوده معركة صفين إنما كان ضمن هذا الإطار.

٧- جمع الريشهري عددا من الروايات التاريخية في موسوعة الإمام علي بن أبي طالب: ٤ /٢٢٩، تفيد هذا المعنى منها ما عن مسند ابن حنبل عن فضالة بن أبي فضالة الأنصاري: خَرَجتُ مَعَ أبِي عائِدًا لِعَلِيِّ بنِ أبِي طالِبٍ مِن مَرَضٍ أصابَهُ ثَقُلَ مِنهُ، قالَ: فَقالَ لَهُ أبِي: ما يُقيمُكَ في مَنزِلِكَ هذا؟ لَو أصابَكَ أجَلُكَ لَم يَلِكَ إلّا أعرابُ جُهَينَةَ، تُحمَلُ إلَى المَدينَةِ، فَإن أصابَكَ أجَلُكَ وَلِيَكَ أصحابُكَ وصَلّوا عَلَيكَ، فَقالَ عَلِيٌّ: إنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ عَهِدَ إلَيَّ أن لا أموتَ حَتّى أُؤَمَّرَ ثُمَّ تُخضَبُ هذِهِ ـ يَعنِي لِحيَتَهُ ـ مِن دَمِ هذِهِ ـ يَعني هامَتَهُ ـ فَقُتِلَ، وقُتِلَ أبو فَضالَةَ مَعَ عَلِيٍّ يَومَ صِفّينَ

وعن المعجم الكبير عن صهيب: إنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ يَوما لِعَلِيٍّ رضى الله عنه: مَن أشقَى الأوَّلينَ؟

قالَ: الَّذي عَقَرَ النّاقَةَ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: صَدَقتَ، فَمَن أشقَى الآخِرينَ؟

قالَ: لا عِلمَ لي يا رَسولَ اللهِ، قالَ: الَّذي يَضرِبُكَ عَلى هذِهِ، وأشارَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ إلى يافوخِهِ، فَكانَ عَلِيٌّ رضى الله عنه يَقولُ لِأَهلِ العِراقِ: أما وَاللهِ لَوَدِدتُ أنَّهُ قَدِ ابتَعَثَ أشقاكُم فَخَضَبَ هذِهِ ـ يَعني لِحيَتَهُ ـ مِن هذِهِ، ووَضَعَ يَدَهُ عَلى مُقَدَّمِ رَأسِهِ.

وعن تاريخ اليعقوبي: قَدِمَ عَبدُ الرَّحمنِ بنُ مُلجَمٍ المُرادِيُّ الكوفَةَ لِعَشرٍ بَقينَ مِن شَعبانَ سَنَةَ (٤٠هـ)، فَلَمّا بَلَغَ عَلِيّا قُدومُهُ قالَ: وقَد وافى؟ أما إنَّهُ ما بَقِيَ عَلَيَّ غَيرُهُ، هذا أوانُهُ، فَنَزَلَ عَلَى الأَشعَثِ بنِ قَيسٍ الكِندِيِّ، فَأَقامَ عِندَهُ شَهرا يَستَحِدُّ سَيفَهُ.

٨- روى الشيخ الصدوق في الأمالي أن الحسين لما غفا على قبر جده، ورآه في المنام قال له النبي ﷺ: إن لك في الجنة درجات لا تنالها إلا بالشهادة، ونقل الشيخ الطوسي في الأمالي: عن أبي عبد الله وأبي جعفر: إن الله عوض الحسين من قتله بأن جعل الإمامة في ذريته والشفاء في تربته وإجابة الدعاء عند قبره)، وهذا المعنى ورد كثيرا في زيـــارات الحسين عليه السلام.

٩- فوزي آل سيف، من قضايا النهضة الحسينية.

١٠- الريشهري، موسوعة الإمام علي بن أبي طالب: ٧/ ٢٤٥.

شـــذرات تربويـة من الوصية الأخيرة للإمـــام عـلي عليه السلام

أ.د. نجم عبد الله غالي
جامعة ميسان - كلية التربية

((أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللهَ وَ أَلَّا تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَ إِنْ بَغَتْكُمَا وَ لَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا وَ قُولَا بِالْحَقِّ وَ اعْمَلَا لِلْأَجْرِ وَ كُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَ لِلْمَظْلُومِ عَوْناً أُوصِيكُمَا وَ جَمِيعَ وَلَدِي وَ أَهْلِي وَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللهَ وَ نَظْمِ أَمْرِكُمْ وَ صَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا ﷺ يَقُولُ صَلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلَاةِ وَ الصِّيَامِ

اللهَ اللهَ فِي الْأَيْتَامِ فَلَا تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ وَ لَا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ، وَاللهَ اللهَ فِي جِيرَانِكُمْ فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ وَاللهَ اللهَ فِي الْقُرْآنِ لَا يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ وَاللهَ اللهَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ وَاللهَ اللهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ لَا تُخَلُّوهُ مَا بَقِيتُمْ فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا وَاللهَ اللهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ وَ أَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهَ وَ عَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَ التَّبَاذُلِ وَ إِيَّاكُمْ وَ التَّدَابُرَ وَ التَّقَاطُعَ لَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ.

ثُمَّ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضاً تَقُولُونَ قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَلَا لَا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قَاتِلِي انْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ وَ لَا تُمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قُولُ إِيَّاكُمْ وَ الْمُثْلَةَ وَ لَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ)).

جاءت وصية أمير المؤمنين علي عليه السلام في أيامه الأخيرة من عمره الشريف، وهي تحمل بين طياتها العديد من النفحات الإيمانية المباركة والمضامين التربوية السامية، جعلها الإمام علي عليه السلام بمثابة خلاصة ذهبية لعمره الشريف، ومنهج عطائه وتعامله مع الآخرين، ومثال تجربته المباركة في هذه الحياة، قدمها للجميع فهي ليست لأهل بيته عليهم السلام فقط، بل هي خط عمل ونبراس عطاء وفيوضات مباركة أرادها عليه السلام أن تعم المسلمين جميعا، والتي إن تمسك بها أفراد المجتمع صلحوا وصلح المجتمع كافة، والمتتبع للوصية المباركة يجد أنها حملت المعطيات والمؤشرات التربوية الآتية:

- وجّه أمير المؤمنين عليه السلام إلى ضرورة الالتزام بهذه الوصية والعمل على تطبيقها وجعلها نبراساً ينير الطريق للخلاص من أعباء الدنيا والنجاة من عذاب الآخرة، فقد ركز عليه السلام على التقوى والالتزام بالإسلام الحنيف ديناً قيما للفرد والمجتمع، وعدم التخلي عنه والاعتصام بحبل الله والركون إلى مبادئ السماء الخالدة الكفيلة بتربية الإنسان تربية إسلامية حقيقية، وشحنه بطاقةٍ ايجابيةٍ تجعل نفسه تسمو وتقترب إلى الحق تعالى.

- حث الإمام علي عليه السلام على الطاعة الحقيقية لله سبحانه وتعالى، وذكره واللّهج به في الأوقات كلها، واستشعار الذات الإلهية في كل لحظة وبناء مبدأ التقوى في نفوس الناس، مع التأكيد على إقامة حدود الله تعالى وعدم تجاوزها والاعتداء عليها، والتنبيه على عدم الانقياد وراء الدنيا والانصياع لها، وتجنب الأسف على شيءٍ فات

حث الإمام علي عليه السلام على الطاعة الحقيقية لله سبحانه وتعالى، وذكره، واللّهج به في الأوقات كلها، واستشعار الذات الإلهية في كلّ لحظةٍ، وبناء مبدأ التقوى في نفوس الناس.

الإنسان منها، فهي سراب زائل، وألزم الآخرين بأهمية العبادة الحقيقية لله تعالى واجتناب ما دون الله، وإنصاف الناس وخصوصا المظلوم والعمل الجاد على اخذ حقه ممن ظلمه واعتدى عليه، وشجع أمير المؤمنين عليه السلام على ردع الظالم حتى لا يتمادى في ظلمه واعتدائه على الآخرين .

- الالتزام بقول الحق والصدق في مختلف الظروف، وأنْ لا يلجأ الإنسان إلى غير ذلك يبتغيه سبيلا فالحق هو المنجاة وهو السبيل الوحيد لوصول الإنسان إلى الله تعالى، وان الإنسان يجب عليه أن يعمل للأجر الأخروي فضلا عن الدنيوي، فالآخرة هي المقر الأساس والرئيس وهي مبتغى المؤمنين الصالحين وتربية المجتمع المسلم، على أن الدنيا هي دار مرور لدار اكبر هي دار الخلود .

- الاهتمام بالإصلاح ومتابعة حالة الضغائن التي تحدث بين الناس والعمل على حلها وتقريب وجهات النظر بين المتخاصمين وهذا الأمر من شانه أن يبعث حالة المحبة والألفة والتراحم بين أفراد المجتمع، والتخلص من الضغينة والتقاطع التي يمكن أن تهدم أركان المجتمع وتجعله يعيش حالة القطيعة والكراهية ومن ثم سيادة البغضاء والشحناء والحقد والمقت والعدوان .

- تركيز أمير المؤمنين عليه السلام على نظم الأمر بمعنى أن الفرد لا يجعل أموره مبعثرة وغير منتظمة، بل عليه أن يرتب أموره ويعتني بها ويلتزم الدقة والتخطيط في أعماله ويجد لها حلولاً بعد الاتكال على الله تعالى، ونظم الأمر في حياة المسلمين لا يكون إلاّ بالرجوع إلى من هم القادة الحقيقيون المنصّبون من الله تعالى، وكأنه عليه السلام أراد أن يلزم الجميع بهذا الأمر من جانب، واقتران نظم الأمر بالرجوع إلى أصحابه الحقيقيين، وكان تنظيم الأمور حالة متلازمة مع اولياء الأمر الحقيقيين .

- اخذ الأيتام ركناً مهماً في وصية الإمام علي عليه السلام وذلك لما يشكله هؤلاء الأيتام من شريحة مهمة داخل المجتمع، واعتقاده انه من الواجب العناية بهم ورعايتهم واحتضانهم لأسباب تربوية معرفة منها تعويضهم عما فقدوه من فقد الأب أو فقد الأم، أو كليهما من رعاية نفسية وتربوية، وثانيا تربيتهم وتنشئتهم بصورة صحيحة لكي لا يصبحوا ضحية في المجتمع أو تأخذهم التيارات السلبية فتضعف تربيتهم أو ينشئوا تنشئة ليست صحيحة.

- احترام الجار والتركيز على بناء علاقات جوار متينة مبنية على وفق قيم فاضلة وأسس

إسلامية صحيحة، كون المجتمع الآمن هو مجتمع منتج ومتحضر ومتقدم، فحسن الجوار كان أهم رؤى أمير المؤمنين علي عليه السلام، فكان يحث على الالتزام بالأخلاق الإسلامية في التعامل مع الجار، وعدم إلحاق الأذى بهم، والتزام حرمة الجار، وعدم البغي عليه وعدم ظلمهم والاعتداء عليهم أو إخافتهم وتشجيع العلاقات الاجتماعية الطيبة وبث روح التعاون والمحبة بين الآخرين، ولا سيما أن الإمام اخذ لفظة الجار بصورة مطلقة لا تقتصر على الجار المسلم فقط بل بصورة عامة.

- أعطى أمير المؤمنين عليه السلام أهمية كبيرة للقرآن الكريم بوصفه الدستور السماوي الذي أرسله الله للناس لإنقاذهم وهدايتهم وصلاحهم، فقد ركز عليه السلام على وجوب العمل الفعلي بتعاليم القرآن وعدم التأخر في العمل بها؛ لأنه السبيل الأمثل للنجاة والخلاص من كل مشاكل الدنيا وانه السبيل للفلاح في الآخرة، والمتتبع للوصية المباركة نجده عليه السلام يحذر من التأخر بالعمل في القران وعدم إعطاء فرصة لان يسبقنا الآخرين للعمل بالقران؛ لأنَّ السابق في العمل بالقران هو الذي سيتقدم ويغلب من تأخر .

- عظم أمير المؤمنين عليه السلام ضرورة الاهتمام بالصلاة بوصفها عمود الدين، والعمود يعطي البيت قوة ودعامة والعمود هو الذي يسند بقية الأوتاد ويشدها ويسندها، فالصلاة أساس العبادة وركنها الوثيق وهي هوية الإنسان المسلم وبها يتقرب إلى الله تعالى، وللصلاة قابلية ذات فاعلية كبيرة في تحصين الفرد المسلم ووقايته من هفوات الشيطان والوقوع في شرك الذنوب وموبقاتها.

- تأكيد أمير المؤمنين عليه السلام على التراحم والتزاور والتفاعل الاجتماعي لأنها تؤدي إلى تكوين مجتمع مترابطٍ متماسكٍ والابتعاد عن القطيعة والتدابر لأنها تكوّن مجتمعا ضعيفا غير متماسك ومتهالك، فضلا عن أن التزاور في الله تعالى والتحابَّ فيه يقرب القلوب والنفوس ويشعر الناس بالقرب من بعضهم والترابط والأخوة.

- التزام أمير المؤمنين عليه السلام بأهمية بيان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وصيته الأخيرة حرصا منه عليه السلام على التزام الناس بهذه الفريضة وعدم تركها فبها يسمو المجتمع ويرتفع وترتقي الأخلاق؛ لان ترك هذه الفريضة يجعل الفرد والمجتمع تعيساً بائساً بسبب تفشي المنكر والظلم وبالتالي تسلط الأشرار على رقاب الأخيار وضياع الحقوق الفردية والاجتماعية، واستضعاف الناس واحتقارهم ونبذهم، واستلاب حقوقهم، وشيوع الفساد والانحلال والمعاصي، وتردي الأخلاق وغياب الأمن، فكأنه عليه السلام يرى أن النهي عن المنكر والأمر بالمعروف وسيلتان لإنقاذ المجتمع المسلم من كل المشكلات، فمن مصلحة المجتمع المسلم إدامة هذه الفريضة المباركة على وفق الأسس الإسلامية الصحيحة.

- اخذ بيت الله المبارك مكانة متميزة في وصية أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقد وجه بضرورة العناية بهذه البقعة المباركة وعدم خلوها من روادها، كونه يربط المسلمين بربهم عن طريق الشعائر التي وضعتها السماء وبينها الرسول محمد صلى الله عليه وآله، فالحج في نظر الإمام علي عليه السلام تكليف الهي يلتزم

عظم أمير المؤمنين عليه السلام ضرورة الاهتمام بالصلاة بوصفها عمود الدين، والعمود يعطي البيت قوة ودعامة، والعمود يسند بقية الأوتاد ويشدها ويسندها، فالصلاة أساس العبادة وركنها الوثيق، وهي هوية الإنسان المسلم وبها يتقرَّب إلى الله تعالى.

به الفرد المسلم المطيع لله ولرسوله، وللحج انعكاسات ايجابية في بناء ذات الفرد المسلم وذات المجتمع المسلم، وهو احد المقومات الأساسية في صقل وتهذيب النفوس والتطبيق الحقيقي لشعائر الحج يجعل المسلم يحصل على العديد من الفيوضات اللاهية اللامتناهية.

– كان للجهاد مكانة بين ثنايا وصية أمير المؤمنين علي عليه السلام فقد شجع عليه السلام، على الجهاد بالأموال والأنفس والألسن، واعتبارها مقومات الجهاد وحسب الاستطاعة فهناك من يجاهد بأمواله وهناك من يجاهد بنفسه وهناك من يجاهد بلسانه، فكل فرد وما يمتلك من طاقة جهادية تسمح له أن يشترك بما لديه ما إمكانيات متاحة، فالجهاد هو السبيل لتحقيق السمو والرفعة وحفظ الإسلام والمسلمين وبناء دولة قوية ومجتمع قوي.

– اخذ احترام دماء المسلمين في وصية سيد الموحدين حيزا كبيراً حرصا منه عليه السلام على حقن الدماء وإبعاد الاقتتال والتناحر وسفك الدماء بين المسلمين، فنراه يوجه ذويه بعدم إعطاء دمه الشريف بأكثر من القصاص الواجب أو الحد الشرعي الذي أقرَّته السماء، ومع عظمة شخصيته ودمه وعدم وجود له شبيه في عصره وغيره إلا انه يرى مبدأ المساواة في القصاص وعدم اخذ أكثر من ذلك وعدم تجاوز الحدود الشرعية التي أوجدتها السماء، ويؤكد مبدأ العدل والعدالة وعدم قتل غير القاتل، وضربة بضربة وعدم التمثيل به، واحترام قاتله كأسيرٍ، وإطعامه والعناية به، ولو شاء الله وعاش أمير المؤمنين عليه السلام فبالتأكيد انه سيعفي عن ضاربه.

– اوجب أمير المؤمنين علي عليه السلام الرحمة على عدوه وقاتله، ووَّجه بعدم الانتقاص منه والاستهزاء به، ونصح ذويه وبني عبد المطلب بعدم الخوض في دماء المسلمين بسبب دمه الشريف، وان لا يكون دم علي عليه السلام مدعاة لسفك دماء أخرى.

وفي الختام نسال الله أن يوفق الجميع بالالتزام بهذه الوصية المباركة، وان يجعل قلوبنا عامرة بحب رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

جنة الغري

صار مرقد أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف قبلة للعاشقين الموالين، يلتقي فيه المؤمنون لينهلوا بجواره العظات والعبر، وليتزودوا من عبقه ما يزكي أرواحهم ويرفع شأنهم ويقربهم إلى الله تعالى.

وهناك روايات أشارت إلى هذه الحقيقة، منها ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال للإمام علي عليه السلام: ((يا أبا الحسن إن الله تعالى جعل قبرك وقبر ولدك بقاعا من بقاع الجنة، وعرصة من عرصاتها، وان الله جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة عباده تحنُّ إليكم وتحتمل المذلة والأذى فيكم، فيعمرون قبوركم، ويكثرون زيارتها تقرُّبا منهم إلى الله ومودة منهم لرسوله، أولئك يا علي: المخصوصون بشفاعتي، الواردون حوضي، وهم زواري غدا في الجنة.

يا علي: من عمَّر قبوركم وتعاهدها فكأنما أعان سليمان بن داود عليه السلام على بناء بيت المقدس، ومن زار قبوركم عدل ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الاسلام، وخرج من ذنوبه حتى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمه، ابشر وبشِّر أولياءك ومحبيك من النعيم وقرة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولكن حثالة من الناس يعيرون زوَّار قبوركم بزيارتكم كما تعير الزانية بزناها، أولئك أشرار أمتي لا نالتهم شفاعتي ولا يردون حوضي)).

(الحر العاملي، وسائل الشيعة: ١٤/ ٣٨٣)

لسان الأُمة

تنوع البناء الجملي في وصية الإمام علي عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام وأثره في الناتج الدلالي

أ.م.د. زيد العكايشي
جامعة جابر بن حيان للعلوم الطبية والصيدلانية

تنوّع البناء الجُملي في وصية الإمام علي عليه السلام لولده الإمام الحسن عليه السلام وأثره في الناتج الدلالي

أ.م.د. زيد الكايشي
جامعة جابر بن حيان للعلوم الطبية والصيدلانية

يصف احد الباحثين الجملة العربية بأنها "كل لفظ مستقل بنفسه، مفيد لمعناه فائدة، يحسن السكوت عليها"[1] وهي تتكون من طرفين المسند والمسند إليه، ويحدد حركتهما نظام من العلاقات واجبة المراعاة؛ لارتباطها بتأدية المعنى إلى المخاطب، الذي يطلق عليه الاثر التركيبي للنص سواء أكان شعرياً أم نثرياً، وقد أُثري التركيب اللغوي دراسة وبحثا قديما وحديثا بشكل مستفيض، لذا نبتعد عنه ونكتفي بالإشارة اليه حتى لانقع بالإسهاب والإطالة فيه[2].

وتنقسم الجملة في بنائها العام الى الجملة الاسمية والفعلية، ولكل واحدة منها خصائها الدلالية، وحركاتها داخل البنية النصية والتراكيبية التي يقصدها المنشئ قصدا، "إذ يعد بناء الجملة في النص قضية لغوية وفنية تستقطب كثيراً من الدلالات"[3]، وأي تغيير في نظام الرتب يعقبه تغييرات دلالية من خلال تغيير أماكن أجزاء البنية التركيبة للجملة، المتجهة نحو تعبيرات دلالية مقصودة يحدثها المبدع خدمة للمعنى المراد؛ لأنَّ "الجملة بوصفها مركباً لفظياً تتلاشى فيها فردية الكلمة وسلطتها لتنشأ علاقة الجزء بالكل وبالعكس، ثم لتتأسس علاقات نمطية جديدة تتضام فيها الدلالات على وفق نظم الرتب"[4]، إذ تفقد المفردة دلالتها عندما تنصهر بقالب التركيب والسياق وهذا ما دعانا إلى دراسة دلالة الجملة بشكل منفرد ونعكف عن دراسة المفردات.

وصية الامام علي عليه السلام:

ومن أنواع الجملة العربية الجمل الاسمية المتكونة من طرفي الاسناد (المبتدأ والخبر)، وقد لاحظنا حضورها في وصية الإمام علي عليه السلام لولده الامام الحسن عليه السلام، ولعلّ ذلك يعود الى دلالة "المسند على الدوام والثبوت، أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا ثابتا غير متجدد"[5] نحو قوله عليه السلام: ((فإنَّ خير القول ما نفع))[6] ويقول عليه السلام: ((وأنت مقبل العمر، مقتبل الدهر، ذو نيَّة سليمة، ونفس صافية))[7] ويقول عليه السلام أيضاً: ((فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له))[8]، نلحظ سمة الثبوت والبقاء على حال ثابت لا يعتروه التبدل، ونلمح ذكاء الموصي في اختيار الجملة عندما أوردها بصيغ اللزوم وعدم التبدل؛ لأنَّ خلافها يؤدي إلى الخسران، نحو القول النافع لو تغير لأفسد الحال، ويدرك بذلك الغاية الأساس من خلق الوصية التي يراد منها التحذير في الوقوع من المحذور، والمتوقع في المستقبل، باستثمار مناسبة التركيب اللغوي للغرض، لذا عندما ذكر فناء العمر بتقادم الأيام ومواجهة المصير الحتمي، مال إلى الجمل الاسمية جرياً مع العلاقة الثبوتية للبنية اللغوية وثبات المعاني المذكورة، أما في القول الثاني فأراد مدَّ البصر إلى النية الصالحة والنفس السلمية بصرف النظر عن المدح، فضلا عن بثِّ وسائل لتعليم النصح والإرشاد ولاسيما التلطف في الحديث والالتزام، وسرقة قلب الموصى إليه، وكأنَّه لا يمدح بقدر ما هي حقائق، ولعلَّه يشير إلى لمسات روحية تنظر إلى الفطرة السليمة التي فطر الله عليها العباد، الفطرة غير الملوثة من أدران الذنوب والمعاصي، وينصح للعودة إلى سلامة الطبع ونقائه من خلال عرض الثبات بالتركيب اللغوي، أما في القول الثالث فنرى الغاية اختلفت؛ لأنَّ إيراد الجملة الاسمية مع الحقائق قد تباينت مع المعمول به في الواقع الخارجي؛ لأنَّ سيرة الناس مجبولة على حب جمع المال، وهو امر محبوب ومرغوب فيه،

لكن الإمام عليه السلام يحذر من الانهماك به لما يورثه من أحوال الندم في أكثر الأحايين، وأكثر النماذج التي سارت خلف المال سقطت بمحاذيره، ولم تنجُ من سطوة هواه، لذا ناسب الثبات مع مصداق الخسارة في جمع المال، والموصي يذكِّر الموصى إليه بعاقبة المال والانفصال الحقيقي الحتمي عنه يوما ما، لذا أورد الجملة الاسمية للتحذير منه وتفنيد مزاعم طالبيه.

الجملة الفعلية في الوصية:

والجملة الفعلية شريكة الاسمية في انتاج الحمولات الدلالية في الوصية؛ لما يعتروها من دلالة تجدد الفعل في ماهيته التي تدل على الحدوث، فدلالة أركانها المعتمدة على المسند الذي يتصف بـ"التمدد التي يتصف بها المسند إليه بالمسند اتصافاً متجدداً .... لأنَّ الدلالة على التجدد انما تستمد من الافعال وحدها"[٩]، و يُلزم النص دلالة تضم معنى التجدد وعدم الثبات.

وقد وجدنا وصية الإمام عليه السلام يغلب عليها الجمل الفعلية التي يتحدث بها عن حال الدنيا، نحو قوله عليه السلام: ((واياك ان تغتر بما ترى من اخلاد اهل الدنيا إليها وتكالبهم عليها، فقد نهاك الله عنها، ونعت لك نفسها، وتكشفت لك عن مساويها))[١٠]، نرى الافعال المضارعة في (تغتر، ترى، تكالب، تكشفت) أراد بها الثبات والتجدد في آن واحد، وهي من ابداعات المنشئ، فقد احتوى الفعل المضارع (تغتر) معنى الثبات عندما اسند إليه بتقديمه ضمير المنفصل (اياك) الموحي بالتوكيد، وهذا السياق المؤكد قلَّل من خاصية التجدد لصالح اللزوم والبقاء، فضلا عن ذلك لو جمعنا بين أسلوب الوصية وغايتها في رسم جادة الصواب والرضوخ إليه، يتبين مناسبة بقاء الفعل وثبوته، على الرغم من اكتنازه معنى التجدد بالموقف وعدم الثبات على حال واحد، والحال نفسه مع قيمة الفعل(ترى) المتجه نحو البصيرة اكثر من البصر، فقد يُلقى على الإنسان غشاوة يرى بسببها الحق باطلاً، فالتجدد والثبوت متناسبان للمعنى؛ لترسيخ روح النظر المتأمل بالأمور، والنظر إلى الاشياء بطريقة فاحصة مميزه للأمور، لذا استدعى أن يختزن الفعل التجدد، أما الفعل الماضي (نهاك) فلم يراد به زمن المضي حسب، وانما استمراراً للحال والاستقبال للتعلم بأنَّ البناء في الزمن الماضي والعمل به غير متوقف، بل مستمر فضلاً عن اسناده – الفعل– إلى الله عز وجل الذي يتضمن معنى الالتزام بالأمر دون تحديه بزمن معين، ويفهم منه جريانه منذ القدم إلى الحال وصولا إلى المستقبل؛ كونه ارتبط بالتشريع السماوي بوصفه دستورا حياتيا لبني البشر، ولا يعقل أن يدخل النهي ضمن دائرة العمل مرة والترك اخرى باعتبار التجدد وعدم الثبات كما في صيغ الفعلية ونلحظ استعمال الفعل بدلالته الموضوعة عندما توجه إلى القرين المتساوي في الرتبة نحو((احملْ نفسك من اخيك عند صرمه على الصلة[١١]، انصب فعل الأمر احمل على تأدية معنى القوة والتشديد؛ لتناسب الغرض المطلوب، الا أنَّ دلالة التجدد باقية فيه؛ باعتبار الطاقة التي يحملها للناس التي تكيفه للتحمل من عدمه، نظرا لشدة الموقف أو الظروف المحيطة به، ثم ينتقل الخطاب إلى الجمل الإسمية مباشرة نحو ((عند الصدود على اللطف والمقاربة وعند جموده على البذل))[١٢]، فلما انتقل الموضوع إلى غرض اجتماعي أُسري تقف عليه البنية الاساسية للمجتمع الاسلامي عاد إلى استعمال الثبات واللزوم، فالمجال

الأول على المستوى الفردي، بينما غدا الثاني لتعيين ظواهر اجتماعية، أدى ذلك إلى تنوعٍ في استعمال الجمل الاسمية والفعلية.

شيوع فعل الامر:

وعند استقراء نص وصية الإمام علي عليه السلام، اتضح لنا شيوع فعل الأمر بكثرة بحيث يصح القول عنها أمرية البناء التركيبي للجمل، نحو الفعل ((اعلم، احي، قويّ، نوّر، اصلح، خض، احمل ...))[١٣]، ولعل التسويغ المناسب هو مراعاة الموازنة بين الغاية المتوخاة من الوصية والالتزام بها على سبيل الفعل لا التردد أو التفكير، ودلالة الفعل بشكل عام المتكون من حدث و زمن يدخل ضمن القبول والرفض، بينما الحدث الآني في الفعل الأمر يخلق حاله الانعطاف في مسيرة المتلقي، وجعل له نقطة لتحول وتغيير مسيرته من خلال التشديد، وهو ادعى للمضامين التربوية، فالوصية ما هي الا مطاليب لتأكيد على فعل الخير أو التحذير من الشر، وكلها موارد اقرب إلى القوة من التردد.

المضارع في بناء الجملة:

ومن خلال الاستقراء ايضا، نجد الميل إلى الفعل المضارع في بناء الجملة عندما يتوجه الخطاب إلى ذات الموصى إليه بوصفه انساناً يخطأ ويصيب، نحو قوله عليه السلام ((ثمّ اشفقت ان يلتبس عليك ما اختلف الناس فيه من اهوائهم وآرائهم مثل الذي التبس عليهم))[١٤] ونحو قوله عليه السلام ((واياك ان تضع ذلك في غير موضعه، أو ان تفعله بغير اهله، لا تتخذن عَدُوَّ صديقك صديقاً فتعادي صديقك، ... وتجرع الغيظ ...فانه يوشك أن يلين لك... وإن اردت قطيعة اخيك فاستبق له من نفسك بقية يرجع إليها إنْ بدا له ذلك))[١٥] وما ورد في السياق من

الفعل الماضي نجده يحمل دلالة الحال والاستقبال؛ من أجل نشر روح الموعظة وكأنّها ممتدة من الزمن الماضي إلى الحاضر والمستقبل دون تحديها في الزمن الماضي فقط، لقبولها عقلا ونزولها منزلة المنجاة إلى الإنسان دون اي شك.

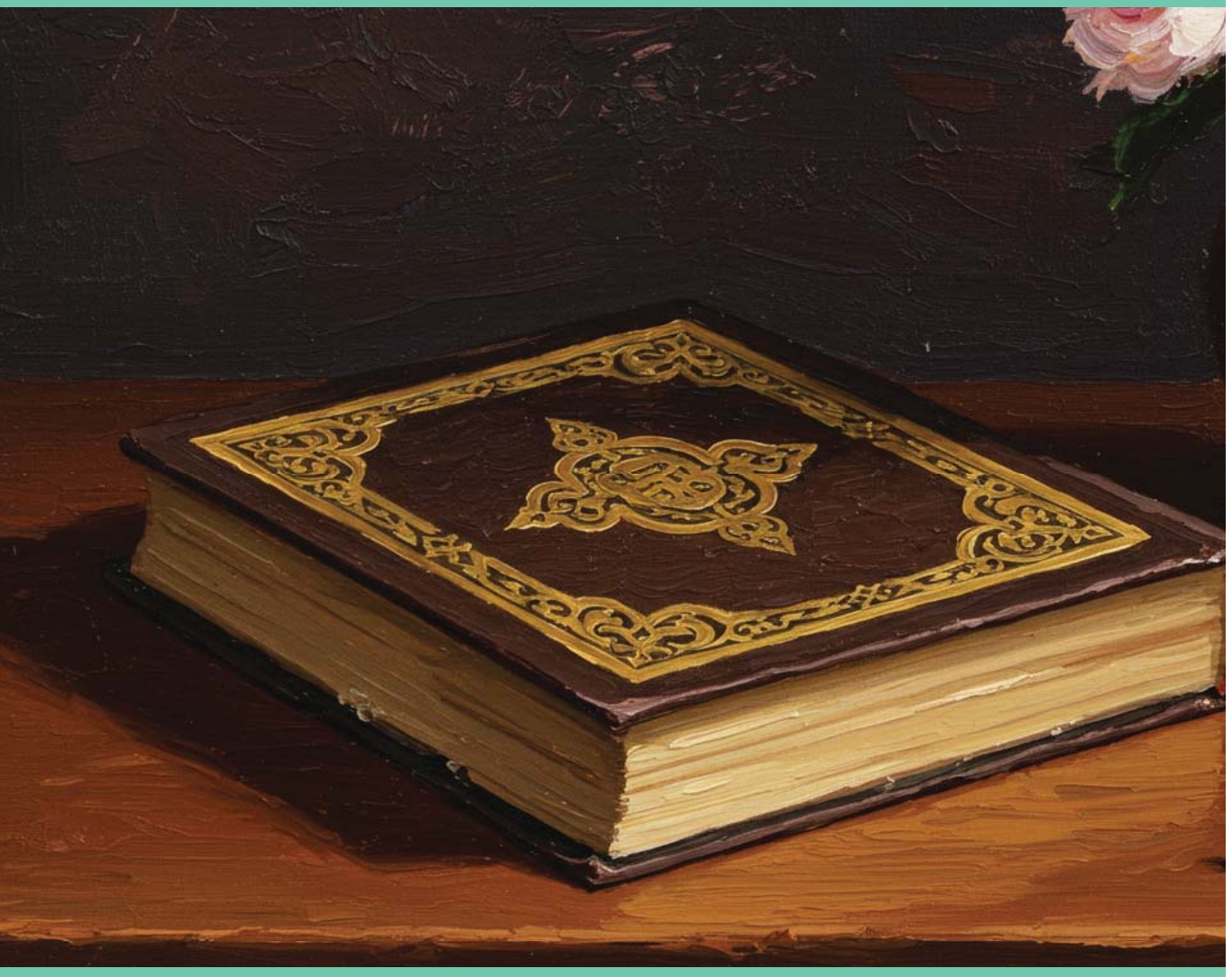

١. وجدان صالح عباس، الأمثال العربية القديمة دراسية بلاغية : ٦١.
٢. ظ: د. سامي علي جبار ، اسلوبية البناء الشعري:١٣١.
٣. م. ن:١٣١.
٤. د. عبد الرزاق العجيلي، البنى الاسلوبية في الشعر العربي الحديث: ١٣٣.
٥. د. مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقده وتوجيه: ٤١.
٦. الشريف الرضي، نهج البلاغة: ٦١٧ .
٧. م. ن : ٦١٩
٨. م. ن : ٦٢٥ .
٩. في النحو العربي، نقد وتوجيه : ٤١.
١٠. نهج البلاغة : ٦٢٦ .
١١. م. ن: ٦٢٩.
١٢. م. ن : ٦٢٩ .
١٣. ظ/ م. ن : ٦٢٥ وما بعدها.
١٤. نهج البلاغة : ٦١٩ .
١٥. م. ن : ٦٢٩

يا غياثاً لكل داعٍ..

الشيخ عباس البغدادي

من قصيدة له مستغيثا فيها بأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام اخترنا منها هذه الابيات..

ايها الخائفُ المروّعُ قلباً ... من وباءٍ أولى فؤادك رُعبا

لذ بأمن المخوف صنو رسول ... الله خير الانام عجماً وعربا

واحبس الركب في حمى خير حام ... حبست عنده بنو الدهر ركبا

واذا ما خشيتَ يوماً مضيقاً ... فامنحنْ حبّه تشاهدَ رحبا

واستثره على الزمان تجدهُ ... لك سلماً من بعد ما كان حربا

من به تخصب البلاد اذا ما ... امحل العام واشتكى الناس جدبا

وبه يفرجُ الكروب وهل من ... احد غيره يفرّج كربا

يا غياثاً لكل داعٍ وغوثاً ... ما دعاه الصريخ الا و لبّا

وأبيّاً يأبى لشيعته الضيم ... وانّى والليث للضيم يأبى

كيف تغضي وذي مواكب اضحتْ ... مغنماً للردى وللموت نهبا

او ترضى مولاي حاشاك ترضى ... ان يروع الردى لحزبك سربا

او ينال الزمان بالسوء قوماً ... اخلصتك الولا واصفتك حبّا

لستُ انحو سواه لا وعلاهُ ... ولو اني قطّعتُ إرباً فإربا

لا ولا اختشي هواناً وضيماً ... وبه قد وثقتُ بعداً وقربا

وهو حسبي من كل سوءٍ وحسبي ... ان اراهُ ان مسني السوء حسبا

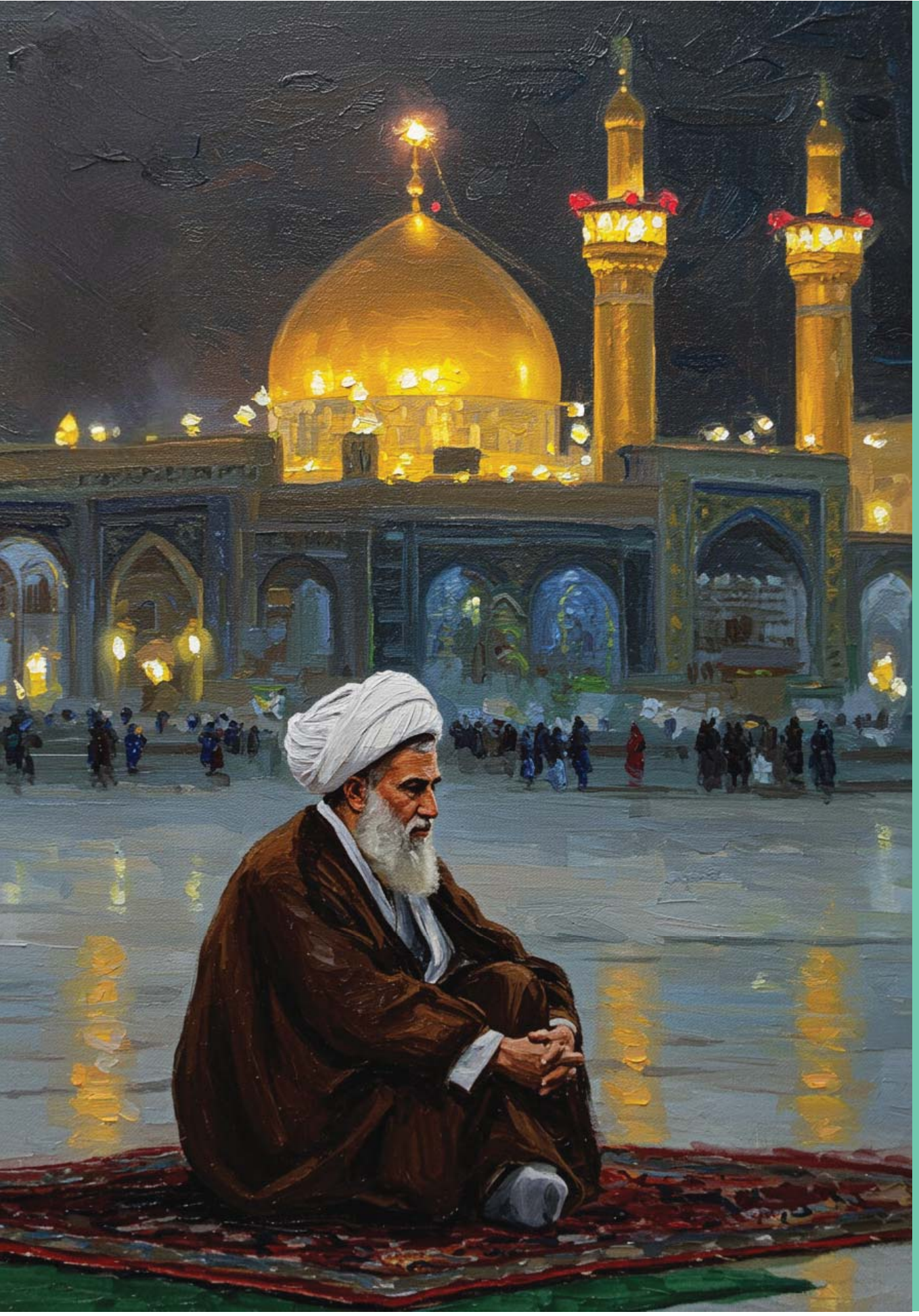

قُـــرة الأَعيُن

- بيت النـــور فلسفة التربية السليمة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

د. بتول عرندس/ لبنان

- الفطام النفسي مفتاح لتحقيـق الاستقلالية والازدهار الشخصي

أ.د سعاد سبتي الشاوي
مركز الإرشاد الأسري- بغداد

بيـــت النـــور

فلسفة التربيـة السليمة في مدرســة أهل البيت عليهم السلام

د. بتول عرندس/ لبنان

التربيـة ليسـت مجـرد ممارسـة تُغـرس في قلـوب الأبنـاء، بـل هي فـنٌ سـام وأمانـةٌ عظيمة تحمـل في طياتهـا بناء الإنسـان وتشـكيل هويتـه الروحيـة والأخلاقية، وحين نتأمـل صفحات التاريـخ، نجـد أن بيـت علي بـن أبي طالب وفاطمـة الزهراء عليهما السلام يشـكل أنموذجًـا خالدًا للتربيـة السـليمة التـي جمعت بـين نقاء الروح وسـمو الأخلاق وعمـق الإيمان، إنّ هـذا البيت لم يكـن مجـرد منـزلٍ عادي، بل مدرسـةً إلهية أسسـت قواعـد التربيـة الإنسـانية الصحيحة، إذ كان الأب هـو عـليّ المعلـم الحكيـم، والسـيدة الزهـراء هـي الأم المربيـة، وأبناؤهم هـم الثمار اليانعـة التـي أضاءت درب الإنسـانية.

وبـين الروحانيـة والتطبيـق العمـلي، إنـه البيت الـذي شـهد أعظـم دروس الحـب والعطـاء والتضحيـة، فـكان بحـق مدرسـةً أبديـة لـكل الأجيـال.

التربيـة هـي الركيـزة الأسـاس لبنـــاء الفـرد والمجتمـع، وتمثل أســـــــاس تشـكيل القيم والسـلوكيات في الإسـلام، إذ تشـكل سـيرة أهـل البيـت عليهم السلام نموذجًـا متكامـلاً للتربيـة السـليمة، فهـم يمثلـون القـدوة العمليـة في تحقيق الانسـجام بـين الجوانـب النفسـية، والاجتماعيـة، والدينيـة، يركـز هـذا المقـال عـلى دراسـة تأثـير فكـر أهـل البيـت عليهم السلام في التربيـة مـن منظـور علمـي تربـوي وسـيكولوجي، مـع إبـراز تطبيقاتهم الواقعيـة التي تتماشـى مـع مدرسـة أهـل البيـت عليهم السلام.

أولاً: مفهوم التربية عند أهل البيت عليهم السلام.

إن التربيـة في فكـر أهـل البيـت عليهم السلام تعتمد على بناء شـخصية الإنسـان وفـق مبادئ الإسـلام، بدءًا من الجانـب الروحي وصـولاً إلى الجوانب النفسـية والاجتماعيـة، حيـث يركـزون عـلى تنميـة الإيـمان بـالله، والالتـزام بالأخـلاق الفاضلـة، والتفاعـل الإيجـابي مع المجتمـع، ويشـير الباحثـون التربويون إلى أن تربيـة أهـل البيـت تركز على الأسـس التالية:

١. **تنمية الـروح الإيمانية:** من خـلال غرس محبة الله تبـارك وتعـالى والرسـول وأهل البيـت صلوات

الله وسلامه عليهم أجمعين في نفوس الأبناء.

٢. التربية بالأفعال: إذ كانوا القدوة في تطبيق القيم عمليًا، كما في مواقف الإيثار والتضحية التي تجلّت في سيرة الإمام الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

٣. التوازن النفسي: الحرص على توفير بيئة آمنة ومستقرة نفسيًا داخل الأسرة.

ثانيًا: أسس التربية في بيت علي وفاطمة الزهراء عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.

البيت الذي أسّسه الإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كان انموذجًا للتربية الإسلامية المتكاملة، وتشير الدراسات النفسية إلى أن البيئة الأسرية المتماسكة توفّر للأطفال الدعم العاطفي الذي يعزّز شعورهم بالأمان والانتماء، وقد كان البيت العلوي مفعمًا بالحب والاحترام المتبادل بين الأبوين، مما انعكس على تربية أبنائهم.

إن السيدة فاطمة الزهراء عَلَيْهَا السَّلَامُ قدمت انموذجًا للأم المثالية التي تجمع بين العبادة ورعاية الأسرة، إذ كانت تعلم أبناءها القيم

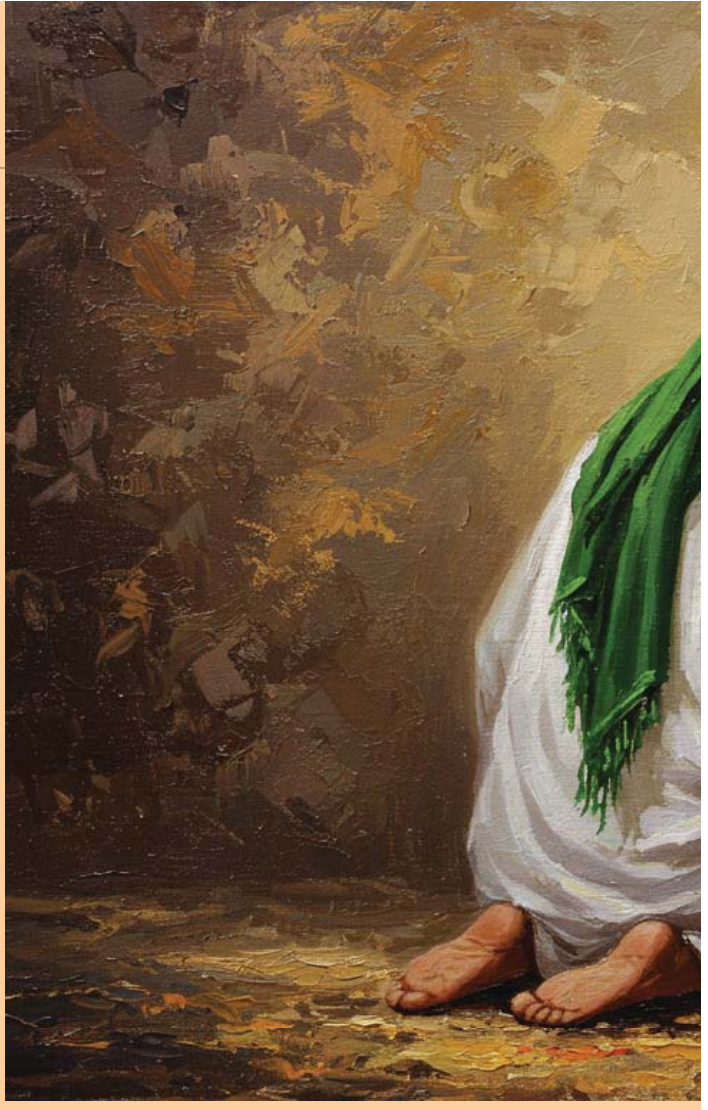

الإنسانية من خلال سرد القصص النبوية وتطبيق التعاليم الإسلامية في حياتهم اليومية، ومن جهة أخرى كان الإمام علي عليه السلام يحرص على بناء الحوار مع أبنائه، مما يسهم في تنمية مهارات التفكير الناقد لديهم.

ثالثًا: الجانب النفسي والتربوي في فكر أهل البيت عليهم السلام.

يركّز علماء النفس التربويون على أهمية تلبية الاحتياجات النفسية للأبناء، وهو ما كان جليًا في نهج أهل البيت عليهم السلام فقد كان الإمام جعفر الصادق عليه السلام يوصي الآباء بالتدرج في التربية بحسب أعمار الأبناء قال: ((دع ابنك يلعب سبعاً ويؤدب سبعاً وألزمه نفسك سبعاً، فإن فلح وإلا فلا خير فيه))[1]، وهي قاعدة تعكس فهمًا دقيقًا لاحتياجات الأبناء النفسية في كل مرحلة عمرية.

تشير الأبحاث المعاصرة إلى أهمية إشراك الأبناء في القرارات وإعطائهم حرية التعبير عن آرائهم، وهو ما مارسه أهل البيت عمليًا فقد كان الإمام علي عليه السلام يوصي بالتعامل مع الأبناء بالرفق واللين.

رابعًا: التطبيقات العلمية للتربية المستمدة من فكر أهل البيت عليهم السلام.

تؤكد الدراسات التربوية الحديثة أن التربية الفعالة تتطلب تكاملًا بين التربية النظرية والتطبيق العملي، وهو ما تجسد بوضوح في حياة أهل البيت عليهم السلام فقد تربّى الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام على يد فاطمة الزهراء والإمام علي عليهما السلام في بيئة تسودها القيم الإسلامية الأصيلة، وكانا يطبقان ما تعلماه من مبادئ في حياتهما اليومية.

التربية بالقدوة، التي برزت في سلوك أهل البيت عليهم السلام، تنسجم مع النظريات النفسية الحديثة، مثل نظرية التعلم الاجتماعي لعالم النفس "ألبرت باندورا"، التي تؤكد أن الأطفال يكتسبون سلوكياتهم من خلال ملاحظة وتعلم سلوك النماذج الإيجابية المحيطة بهم.

وقد ركّز أهل البيت عليهم السلام على أهمية التربية الروحية التي تقوي صلة الإنسان بالله تعالى،

وهـو مـا يتوافـق مـع الدراسـات التـي تشـير إلى أن الروحانيـة تسـهم في تحسـين الصحـة النفسـية للأطفـال وتعزيـز شـعورهم بالطمأنينـة.

خامسًـا: التـوازن بـين الجوانـــب النفسـية والاجتماعيـة في تربيـة أهـل البيـت عليهم السلام التربيـة عند أهـل البيـت عليهم السلام لم تقتـصر عـلى الجوانـب الدينيـة فقـط، بـل اهتمـت بالتـوازن النفـسي والاجتماعي، فقـد كان الإمـام عـلي عليه السلام يشـجع أولاده عـلى التفاعـل مـع المجتمـع بإيجابيـة، إذ قـال: ((النـاس صنفـان: إمـا أخ لـك في الديـن وأمـا نظـير لـك في الخلـق))[2]، وهـذه الفلسـفة تشـجع الأبنـاء عـلى تقبـل الآخريـن والتعايـش معهـم بسـلام.

إنّ التربيـة عنـد أهـل البيـت عليهم السلام ركّـزت عـلى بنـاء الثقـة بالنفـس لـدى الأبنـاء، وتعليمهم تحمل المسـؤولية منـذ الصغر، هـذا يظهر جليًـا في تكليف الإمـام الحسـن والحسـين عليهما السلام بـأدوار قياديـة حتـى في طفولتهـما، ممـا يكسـبهم شـخصية قويـة ومبـادئ ثابتة.

سادسًـا: أهميـة الحـوار في التربية وفـق فكر أهل البيت عليهم السلام.

الحوار كان أحد الأسـاليب الأساسـية في التربية عنـد أهـل البيـت عليهم السلام فقـد كان الإمـام جعفـر الصـادق عليه السلام يدعـو إلى الحـوار البنـاء مـع الأبناء، مشـيرًا إلى أهميـة الإنصـات لهـم واحـترام آرائهـم، والدراسـات العلميـة تؤكـد أن الحـوار يسـاعد الأطفـال عـلى تطويـر مهـارات التفكـير النقـدي وحـل المشـكلات.

في ضـوء ذلـك، نجـد أن الإمـام عليـاً عليه السلام كان يعتمـد أسـلوب النقـاش مـع أبنائِـهِ، فقـد روي أنّه قـال لابنـه الحسـن: ((يا بنـي، اجعل نفسـك ميزانا فيـما بينـك وبـين غـيرك، فأحـبب لغـيرك مـا تحـب لنفســـك، وأكـره لـه مـا تكـره لهـا))[3]، وهـذا الأسـلوب يعـزز الشـعور بالمسـؤولية الأخلاقيـة والاجتماعيـة لـدى الأبنـاء.

الخلاصة:

يمكننـا القـول إن فكـر أهـل البيـت عليهم السلام يمثـل أنموذجًـا تربويًـا متكامـلًا يجمـع بـين القيـم الروحيـة، الأخلاقيـة، والنفسـية، وإن التربيـة عند أهـــل البيـت عليهم السلام تميـزت بالتركيـز عـلى بنـاء الإنسـان المتـوازن الذي يجمع بـين العلـم والعمل، وبـين العبـادة وخدمـة المجتمـع.

أكـدَّت الدراسـات التربويـة والنفسـية الحديثـة أن المبـادئ التـي اعتمدهـا أهل البيت عليهم السلام تتماشـى مـع متطلبـات التربيـة السـليمة في جميـع العصـور، وهـذه المبـادئ تمثـل مرجعًـا يمكن للأسر المسـلمة الاسـتفادة منـه في مواجهـة التحديـات التربويـة الراهنـة، ممـا يسـهم في إعـداد جيل صالـح قادر على النهـوض بالمجتمع.

١- الطبرسي، مكارم الأخلاق: ٢٢٢.
٢- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة: ٣/ ٨٤.
٣- المصدر نفسه: ١٦-٨٤.

الفطـــام النفسي
مفتـــاح لتحقيـــق الاستقلاليـة والازدهـــار الشخصي

أ.د سعاد سبتي الشاوي
مركز الإرشاد الأسري- بغداد

الفطـــام النفسي هـــو المصطلح الذي يستعمل لوصف عملية انفصال عاطفي ونفسي يتمكن من خلالها الفرد من تعزيز استقلاليته الشخصية وتحقيق توازن نفسي بعيداً عن التعلق العاطفي الزائد بشخص أو تجربة معينة. وتُعدُّ هذه العملية ضرورية لتنمية الهوية الشخصية والنضج العاطفي للفرد، وتختلف هذه التجربة من شخصٍ لآخر بناءً على الظـــروف والسياقات المختلفة.

يحصل الفطام النفسي في عدة مواقف منها الفطام النفسي عن الوالدين، ويحدث عندما يبدأ الطفل أو المراهق في تطوير استقلاليته الذاتية وانفصاله العاطفي عن الوالدين، ولكن هذا لا يعني قطع العلاقة بينهما بل التوجه نحو تحقيق استقلالية أكبر واتخاذ قرارات شخصية، أو قد يحدث في العلاقات العاطفية عندما يسعى الفرد للفصل العاطفي عن شريكٍ سابقٍ بعد الانفصال أو الطلاق، ويكون الهدف منه استعادة التوازن العاطفي وتحقيق الاستقلالية النفسية، أو قد يحدث في الحياة المهنية عند التقاعد أو تغيير الوظائف فيسعى الفرد لإعادة تعريف هويته بعيدًا عن الدور المهني السابق الذي كان يمارسه، أو يحدث نتيجة التجارب الحياتية المؤلمة التي مر بها الفرد كفقدان شخصٍ عزيزٍ عليه فيسعى الفرد للتعافي العاطفي وإعادة بناء حياته.

وللفطام النفسي أنواع فقد يكون الفطام هو في حد ذاته مرتبط بشيء نفسي وحسي قد اعتاد الشخص عليه، بغض النظر عن كونه سلبياً كالفطام من شرب المنبهات أو إيجابياً كالفطام من حب شخص بشكل مبالغ فيه، وهناك فطام من عادةٍ معينة كشد خصلات الشعر، وفطام الطفل الرضيع من الرضاعة أو من تناوله العضاضة، وإنّ أصعب أنواع الفطام هو فطام المشاعر لشخص رحل بالفقدان أو الموت أو غيبته لأي سبب ما، كذلك فطام التردد على أماكن تجبر الظروف على الرحيل منها، وفطام العادات كفطام عادة السهر أو مص الأصابع، أو هز

الأرجـل، وفطـام الجلوس لسـاعات عـلى الألعاب الإلكترونيـة والإنترنـت ومتابعة مواقـع التواصل، فضـلا عـن فطـام الملابـس والتجديـد والتنـوع في طريقـة اللبـس.

إن التخلـص والتوقـف عن الشيء ليـس بالصعب، لكـن الأصعـب هـو ذلـك الشـعور والإحسـاس بالفـراغ بعـد التوقـف عـن رؤيـة شـخص تـم الاعتيـاد عـلى رؤيتـه، وتكمـن الصعوبـة في التـألم والإحسـاس بالمشـاعر الحزينـة، نتيجة عـدم وجود ذلـك الـشيء.

وللفطـام النفـسي أهميـة كبـيرة، منها تحقيـق النضج العاطفـي الذي يسـاعد في تطوير مهـارات التعامل مـع المشـاعر وبنـاء هويـة مسـتقلة، وتعزيـز قـدرة الفـرد عـلى اتخـاذ قراراتـه الشـخصية والاعتماد على نفسـه، فضـلا عن تحسـين الصحـة النفسـية وتقليل الاعتـماد العاطفـي وتحقيـق التـوازن النفسي.

إن عمليـة الفطـام النفـسي عملية شـخصية ومعقدة تختلـف مـن شـخص لآخـــر، بغـض النظـر عـن الجنـس، ولكـن هنـاك بعـض العوامـل (كالتربيـة، والثقافـة، والتوقعـات الاجتماعية) التي قد تسـاهم في تشـكيل الفـروق بين الذكـور والإنـاث في كيفية تعاملهـم مـع هـذه العمليـة، ومنهـا الفـروق في التعبـير العاطفـي، فالإنـاث غالبـاً مـا تكـن لديهن قـدرة أكـبر في التعبير عـن مشـاعرهن وعواطفهن، مـما يسـاعدهن عـلى التعامـل مـع الفطـام النفـسي بطـرق أكثـر وضوحًـا ومبـاشرة في حـين قـد يكون الرجـال أقـل قـدرة في التعبـير عـن مشـاعرهم، مما يـؤدّي في بعض الأحيـان إلى الاحتفـاظ بالعواطف الداخليـة والتعامـل مع الفطـام النفـسي بطرق غير مبـاشرة، أمـا فيـما يتعلـق بالاعتـماد العاطفـي فقـد تميـل النسـاء إلى الاعتـماد العاطفـي الأكـبر عـلى العلاقـات الشـخصية والدعـم الاجتماعـي، مـما يجعـل الفطـام النفـسي مـن العلاقـات أمـراً صعبـاً في بعـض الأحيـان عليهـا، بينـما قـد يكـون الذكور أكثـر اسـتقلالية في بعـض الثقافـات مـما قد يسـهل عليهـم عمليـة الفطـام النفـسي، أما طـرق التكيف والتعامـل فقد تلجـأ الإناث إلى البحـث عن الدعم الاجتماعـي، والتحـدث مـع الأصدقـاء والعائلـة كوسـيلة للتكيـف مـع الفطـام النفـسي بينـما قـد يميل الذكـور إلى اسـتخدام اسـتراتيجيات التعامل الفرديـة كالانخراط في الأنشـطة البدنيـة أو التركيز عـلى العمل كوسـيلة للتكيف، فضلاً عـن التأثيرات الثقافيـة والاجتماعيـة التـي يمكـن أن تلعـب دورًا كبـيرًا في كيفيـة تعامـل الإناث مـع الفطـام النفسي، فقـد تواجـه ضغطًـا أكـبر للحفـاظ عـلى العلاقات والروابـط العاطفيـة في حـين قـد يواجـه الذكـور توقعـات اجتماعيـة تميـل إلى تعزيـز الاسـتقلالية والقـدرة عـلى التحمـل العاطفي مما يؤثّـر على كيفية تعاملهـم مـع الفطـام النفـسي، وكذلـك التأثـيرات البيولوجيـة عنـد بعـض الإنـاث فقد يكـون لديهنّ حساسـية أكـبر للتغـيرات الهرمونيـة التـي يمكـن أنْ تؤثـر عـلى الحالـة النفسـية، في حـين قـد يكـون الذكـور أقـل تأثـرًا بهـذه التغـيرات، مـما يمكـن أن يؤثـر عـلى تجربتهـم للفطـام النفسي.

إن الأفـراد قـد يتعرضـون لعمليـة الفطـام النفـسي نتيجـة لمجموعـة مـن العوامـــل المختلفـة يمكـن أن تكـون بيولوجيـــــة، نفسـية، اجتماعيـة، بيئيـة وقـد تتفاعـل هـذه العوامـل مـع بعضهـا البعـض

لتؤدي إلى الحاجة للفطام النفسي ومنها العوامل البيولوجية كالتغيرات الهرمونية، تلك التي تحدث خلال فترة المراهقة، الحمل، أو انقطاع الطمث والتي يمكن أنْ تؤثر على الحالة النفسية، والاستعداد الجيني لبعض الأفراد الذين يجعلهم أكثر عرضة للضغوط النفسية والحاجة للفطام النفسي، وهناك العوامل النفسية كالتعرّض للتوتر، والضغوط النفسية، وعدم القدرة على التعامل مع هذه التحديات، والتعرض للصدمات النفسية والمرور بتجربة صادمة كفقدان شخص عزيز، أو التعرض لحادثة مؤلمة يمكن أن يستدعي الفطام النفسي للتعافي من الصدمة، فضلاً عن العوامل الاجتماعية كانتهاء العلاقات العاطفية أو الزوجية، أو نقص الدعم الاجتماعي، أو الانعزال الاجتماعي الذي قد يزيد من الشعور بالحاجة للفطام النفسي، فضلاً عن العوامل البيئية كالتغيرات الحياتية والانتقال إلى مكان جديد، وتغيير الوظيفة، أو التقاعد أو التغيرات الثقافية، كالانتقال من بيئة ثقافية إلى أخرى مختلفة، والعوامل الاقتصادية والتعرّض لأزمة مالية أو فقدان الوظيفة، كذلك العوامل الشخصية فالأفراد الذين يعانون من نقص في تقدير الذات قد يجدون صعوبة في التعامل مع الضغوط النفسية، مما يستدعي الفطام النفسي، وقلة مهارات التأقلم والتكيّف مع التغيرات يمكن أنْ تزيد من الحاجة للفطام النفسي، كما أنّ الأمراض الجسدية والنفسية تُعدُّ من العوامل المؤثرة فالمعاناة من أمراض جسدية مزمنة أو وجود بعض الاضطرابات النفسية كالاكتئاب والقلق يمكن أن تجعل الفرد أكثر عرضة للحاجة للفطام النفسي.

يمرُّ الفطام النفسي بمراحل متعدّدة وتختلف في طولها وشدتها بناءً على السياق الشخصي والعاطفي للفرد، إذ تتيح هذه المراحل للفرد التكيف مع التغيير وتحقيق التوازن النفسي المطلوب، ومنها مرحلة الوعي أي التعرف على الحاجة للفطام، فيبدأ الفرد بإدراك الحاجة إلى الفطام النفسي عن الشخص أو التجربة المحدّدة، والتفكير، والتأمل الذي يتضمن التفكير بعمق في العلاقة، أو التجربة وما تعنيه للفرد، ومرحلة المقاومة الداخلية وفيها يشعر الفرد بمقاومة داخلية للفطام، بسبب الخوف من فقدان الأمان العاطفي أو التغيير والصراع العاطفي الذي يمكن أن يتضمن صراعاً بين الرغبة في الاستقلالية، والخوف من الفقدان، ومرحلة الانفصال العاطفي الذي يشتمل على التباعد التدريجي، وفيها يبدأ الفرد في الانفصال العاطفي التدريجي من الشخص، أو التجربة والتأقلم مع الفراغ وفيها يتعلّم الفرد كيفية التعامل مع الفراغ العاطفي الناتج عن الفطام، ومرحلة التقبل العاطفي، إذ يبدأ الفرد في تقبل الفطام والعيش مع الواقع الجديد والبحث عن بدائل كأنشطة، أو علاقات جديدة؛ لتعويض الفراغ العاطفي، ومرحلة التعافي التي يصل الفرد فيها إلى مرحلة من التحرّر العاطفي والتخلص من الاعتماد النفسي و تحقيق النمو الشخصي والنضج العاطفي بعد الفطام، وأخيراً مرحلة الاستقلالية لتحقيق الذات، فيشعر الفرد بالاستقلالية

والقدرة على اتخاذ القرارات الشخصية بثقة، والوصول إلى حالة من الاستقرار النفسي والعاطفي بعد اجتياز مراحل الفطام، وإنّ هذه المراحل قد تتداخل مع بعضها البعض، وقد لا تحدث بالضرورة بترتيب محدّد، إذ يمكن للفرد أنْ يتحرّك بين المراحل بشكلٍ غيرٍ متسلسلٍ بناءً على تجربته الشخصية والعوامل المحيطة به.

إنّ تجاوز مرحلة الفطام النفسي يتطلب مجموعةً من الاستراتيجيات والخطوات والمهارات التي تساعد الفرد على التكيف مع التغيير وتحقيق الاستقلالية النفسية والعاطفية، ومنها التقبل والوعي ويعني تقبل الواقع والتغيير الحاصل، والوعي بالعواطف والتعرف على المشاعر السلبية والإيجابية المصاحبة لهذه المرحلة وتفهمها، والبحث عن الدعم الاجتماعي من خلال التواصل مع الأصدقاء والأشخاص المقربين والذين يمكن أنْ يساعد في تخفيف الشعور بالوحدة والانضمام إلى مجموعات في أنشطة اجتماعية يمكن أن يوفّر بيئة داعمة، كما يمكن تطوير مهارات التأقلم بممارسة تقنيات التأمل والاسترخاء، والتي تساعد في تقليل التوتر وتحقيق السلام الداخلي والانخراط في الأنشطة البدنية، والتي يمكن أن يكون لها تأثيرٌ إيجابيٌ على الحالة النفسية، فضلاً عن إعادة بناء الذات وتطوير الهوايات واكتشاف هوايات جديدة، والعمل على تطوير المهارات الشخصية لتعزيز الشعور بالإنجاز والرضا الذاتي، وضرورة تحديد الأهداف الشخصية ووضع أهداف جديدة والعمل على تحقيقها وتوجيه الطاقة إلى مسار إيجابي، وضرورة التعامل مع المشاعر السلبية عن طريق الكتابة أو التحدث عن المشاعر؛ لأنّ ذلك يساعد في تفريغ العواطف المكبوتة والبحث عن المساعدة المهنية من قبل المتخصّصين في هذا المجال، وأخيراً ضرورة التفاؤل ومحاولة التركيز على الجوانب الإيجابية في الحياة والتعلم من التجارب السابقة، و تغيير نمط التفكير السلبي إلى إيجابي لتحسين الحالة النفسية، وضرورة تذكر أنَّ الفطام النفسي عملية تستغرق وقتًا، وتحتاج إلى الصبر والاعتناء بالنفس والحفاظ على نمط حياةٍ صحّيٍّ يشمل النظام الغذائي الجيد والنوم الكافي، والتواصل مع الطبيعة والخروج في نزهات وقضاءً الوقت في الطبيعة والاهتمام بالحدائق أو زراعة النباتات، يمكن أن يكون نشاطًا مريحًا ويعزز من الشعور بالإنجاز.

هناك العديد من الآيات القرآنية التي تشجع على الصبر والثبات والتوكل على الله في مواجهة التحديات النفسية، والاستمداد من القيم الروحية والإيمانية والتي يمكن أن تكون مصدرًا قويًا للدعم النفسي والعاطفي في مراحل الفطام النفسي. منها:

قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾ [الطلاق: ٣]، وقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد: ٢٨]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

أهمية تحدُّث الوالدين مع أطفالهم

للوالديـن أدوارٌ متعـدّدة في مسـيرة الحيـاة الزوجيـة، ومـن اللائـق بهـما أن يهتـمّا بهـذه الأدوار كلٌّ حسـب مـا فرضـه الله عليـه مـن واجبـات ومـا لـه مـن حقـوق، فـالأم تقـوم بمهـامٍ عديـدة في تهيئـة الظـروف المناسـبة للأجواء الأسرية سـواء اتجـاه الـزوج أو الأولاد وتقديـم مختلـف الخدمـات التـي يحتاجهـا أفـراد الأسرة بشـكل عـام، وهكـذا الوالـد فعليـه أدوارٌ متعـددة عليـه أن يتقـن تنفيذهـا ليحصـل عـلى النتائـج التـي يتمنّاهـا كلُّ أبٍ أن يراهـا متحقّقـة في أولاده ومسـتقبل أسرتـه، ومـن الأدوار المهمـة التـي يضطلـع بهـا الأب هـي النصيحـة، حيـث تكـون النصيحـة حسـب الفئـة العمريـة لـلأولاد، فالطفـل ذو السـنوات الثلاثـة أو الأربعـة يختلـف عـن الطفـل ذي السـنوات العـشر، وأسـلوب توجيـه النصيحـة للذكـور لاشـك يختلـف عنـه للإنـاث، و مـن الأمثلـة القرآنيـة عـن الاهتـمام بالنصيحـة وتوجيههـا إلى الأبنـاء، هـي النصائـح التـي نـصَّ عليهـا القـرآن الكريـم لأهميتهـا والتـي كانـت عـلى لسـان لقـمان الحكيـم، حيـث قـال: ﴿**يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**﴾[لقمان: ١٦].

هنـاك عـدة مـؤشرات في هـذه الوصايـا التـي ذكرهـا القـرآن الكريـم عـلى لسـان لقـمان الحكيـم:

أولاً: أهمية مضامين ومواضيع هذه الوصايا.

ثانيـا: التذكـير بـأنّ النصيحـة الموجهـة مـن قبـل الآبـاء إلى الأبنـاء مهمـة ويجـب أن تكـون باسـتمرار.

ثالثـاً: مضمـون الوصايـا حيـث تتحـدث هـذه الوصيـة عـن قـدرة الله (تعـالى) وقوتـه وسـلطته ورحمتـه، وهـذا أمـرٌ مهـم أن ينتبـه إليـه الآبـاء لإيصالـه إلى أبنائهـم؛ لأنّ الأبنـاء إذا مـا تدربـوا عـلى هـذه الأخـلاق وهـذه المعـاني، مـن الطبيعـي سـيكون مسـتقبلهم مسـتقبلاً مشرقـاً ويعيشـون التـوازن النفـسي والروحـي في حياتهـم.

رابعـاً: التنـوع في طـرح مواضيـع النصائـح التـي تنفـع الإنسـان في هـذه الحيـاة الدنيـا وفي الآخـرة.

إذاً لابـدَّ للآبـاء أن يهتمـوا بهـذا الجانـب، وأن يقدّمـوا النصيحـة باسـتمرار لأولادهـم وبـكل الفئـات العمريـة ومـن كلا الجنسـين؛ لبنـاء مجتمـع ناضـجٍ يسـتطيع أن يبنـي حياتـه الدنيـا بـما يـرضي الله، وحياتـه الأبديـة وهـي الحيـاة الأخـرى.

يراع العلماء

السيد مهدي الخرسان قدس سره
وكتابه نافذة على التاريخ

الباحث ميثم مهدي الخلخالي

السيد مهدي الخرسان قدس سره وكتابه نافذة على التاريخ

السيد ميثم مهدي الخلخالي

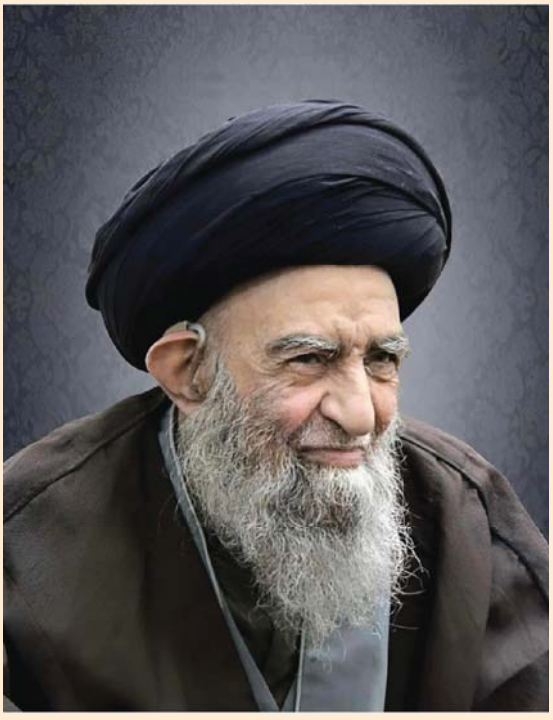

استوقفتني العبارة الأولى لكتاب نافذة على التاريخ لسماحة السيد مهدي الخرسان قدس سره: ((وهذه نافذة على التاريخ في ربع قرن نقرأ من خلالها حقائق مريرة منها مغيبة ومنها منسية، ومنها حاضرة ومنها مشوهة، ولم يكن فتح هكذا نافذة سيعيد الحق إلى أهله ولكن لتصحيح مفاهيم خاطئة شاب عليها الصغير وهرم عليها الكبير، وغدت ثوابت تحييها المناسبات الكثيرة)) وبهذا وجدت أنَّ المؤلف قد اتخذ لنفسه طريقاً مختلفاً يغاير ما سايرته العقول السالفة، ومال إلى أن يسلك تلك الطرق التي نادراً ما اقتحمها الكُتّاب لوعورتها ووحشتها، فكانت نوافذه مطلة على حياة الثلاث الأوائل من الأئمة عليهم السلام وهم الخط المحمدي الأصيل الذي صار معياراً لمن جاء بعدهم من الأئمة عليهم السلام، واتخذوا لأنفسهم الطريق الذي اتخذوه فيما بعد(ليأسهم من النجاح) كما يقول المؤلف لما مرَّ بالثلاث الأوائل عليهم السلام من نقص الاعوان عمد المؤلف أن يضع لنوافذه معياراً صعباً يسير عليه كل من أراد أنْ يطل من خلالها فقال بتجرد ودون تردد: ((إني لا أقول بعصمة أصحاب الكتب ومنها المصادر التراثية والتي سنقرأ فيها ونأخذ منها وننقل عنها سواء أكانوا مِنّا (الاثنا عشرية) أو من غيرنا فالجميع يخضع عندي للنقد إنْ حصل مع الاحتفاظ باحترام قداسة الموروث السليم من المؤاخذة دون ما فيه من العث فهو على المحك ولست بحاجة الى دفع الثمن الباهض للمعثوث على حساب كرامة أصحاب العصمة من الأئمة

الطاهريـن عليهم السلام))، ومـن هنـا حرر المؤلف نفسـه مما قيـد بـه غـيره أنفسـهم ليكـون سـابحاً في فضاءات فكره الواسـع يتطلـع إلى آفاق تاريخيـة صادقة أعاق رؤيتهـا غابـر الزمـن ملتصقًا بثوابتـه العقائديـة الرصينـة ومنطلقًا منهـا بقـوة لتهديـم مـا تكلّـس في صفحـات التاريـخ، إذ يقـدم على ذلك بشـجاعة معهـودة فيقـول: ((فالعقـل هـو الحاكم عـلى النقل فـلا يسـتخف القـارئ طيـش العاطفـة حـين يقـرأ كتبـاً عـلى المحـك ورجـالاً عـلى المحـك، وعقائـد عـلى المحـك، لأنّـا الاثنـا عشريـة الاماميـة كسـائر الفـرق الإسـلامية دخـل عـلى كتبنـا ورجالنـا كـمٌّ دخيـل ليس بالقليـل فشـوه الصـورة وأُسيء الفهم وكثـر التراشـق نتيجـة أزمـة فهـمٍ وأزمـة دين)).

ومـن هنا تبـدأ الرحلـة التاريخية العقليـة الرائعة للخرسـان حيـث مـد المؤلـف ذراعـه بقـوة ليفتـح أعقـد نافـذة وأكثرهـا خلطـاً وتدليسـاً وهـي زمـن حيـاة الإمـام عـلي عليه السلام والتـي ارتـأى تفصيلهـا في بابـين رئيسـيين الأول مـن بـدء الدعـوة ووفـاة الرسـول صلى الله عليه وآله وصـولاً إلى مرحلـة خلافتـه، أمـا البـاب الثاني مـن خلافته عليه السلام حتى شـهادته، وكان تركيـز العلامـة الخرسـان عـلى قطـوف النصـوص مـن مصـادر إسـلامية عامـة ليـس فيها مـن التراث الشـيعي إلَّا القليـل لتكـون الحجـة أبلـغ وأوقـع في الآخريـن، وليكـون مسـيره بمـوازاة المنظومـة التاريخيـة الإسـلامية العامـة لا الخاصـة مـما يضفي للكتـاب الرصانـة والمقبوليـة العامـة.

لم يكـن حديثـه في البـاب الأول عـن مواقفـه وشـجاعته وبسـالته ونصرتـه للديـن وسـيفه الذي لـولاه لم تقـم للإسـلام قائمـة، ولا عـن عدالتـه وزهـده وغيرها مـن الصفات التي اتفقـت الأزمان بمؤلفيهـا والأيـام بمحديثها على تفـرّده بها عن كل مـن جـاء قبلـه وبعـده، حيـث كان الحديـث مختلفا إذ بـيّن في هـذا البـاب عظيـم بلـواه وشـكواه ومـا ذكـر لـه الرسـول الأكـرم صلى الله عليه وآله ومـا يصيبـه بعـده مـن أذى، ومـا تحـدث هـو نفسـه بـه في خُطَبـه ومـا نقلتـه المصـادر الإسـلامية تذكـر ذلـك بتواتر كيف عانـى وكيـف واجـه ذلـك البـلاء وحيـداً فريـداً والتـي انعكسـت في احاديثـه التـي ذكرهـا المؤلـف وعدّدهـا بمصادرهـا، وعـلى رأسـهم البخـاري إذ يذكـر الحديـث: ((أنـا أول من يجثـو للخصومة بين يـدي ربي))[1] لينطلـق منهـا المؤلف بروايـاتٍ عدةٍ تثبـت بالدليـل القاطـع حجة البلـوى والتربص من الأعـداء حيـث يدون السـيد المؤلـف نفثـاتٍ حارَة كـما يسـميها أطلقهـا الإمـام إبـان تلـك الحقبة.

ويفتـح المؤلـف نافذتـه في البـاب الثـاني عـلى زمـن تـولي الحكـم وانثيـال المسـلمين عليـه وقبوله بالخلافـة بـدون رغبـه والتـي وصفهـا كـما أشـار المؤلـف إلى كلام عمـر فـروخ في كتابـه تاريخ الفكر العـربي عـلى "أنهـا تضحيـة كبـيرة"[2].

ثـم يثـير المؤلف سـؤالا: هل اسـتراح الإمام من معاناتـه بعـد اسـتلامه للسـلطة ؟؟ لتكـون اجاباته خُطـب وكلام الإمـام خـلال فـترة حكمـه ليكـون كـما وصفـه: (حاكيـاً شـاكياً باكيـاً يتمنـى الخلاص مـن تلـك المعانـاة التي كان يعيشـها ليلًا نهـارًا يقظةً ومنامًـا حتـى رأى النبـي في منامه صلى الله عليه وآله فشـكى إليه فقـال لـه أدع عليهـم فدعا فرزقـه الله الشـهادة على يـد الخبيث ابـن ملجـم المـرادي لعنـه الله)، ليمضي

إني لا أَقول بعصمة أَصحاب الكتب ومنها المصادر التراثية والتي سنقرا فيها ونأخذ منها وننقل عنها سواء أكانوا مِنّا (الاثنا عشرية) أو من غيرنا فالجميع يخضع عندي للنقد إنْ حصل مع الاحتفاظ باحترام قداسة الموروث السليم من المؤاخذة دون ما فيه من العث فهو على المحك..

سماحته واقفا وقد اتكأ على يمناه مطلا بنافذته على مرحلة استلام السلطة وهي الفترة الأشد مأساة ليستعرض متعجبا من قساوة المشهد وما يقرأه من احاديث الإمام عن حكومته عبر الاجيال اذ قال: ((أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو لا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ الله على العلماء أنْ لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت اخرها بكأس أولها ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز))[٣]، ويبين المؤلف عزوف الامام عنها وعدم رغبته بها وأسباب ذلك ليقول ((والله ما تقدمت عليها الا خوفا من أن ينزو على الامر تيس من بني أُمية فيلعب بكتاب عز وجل))[٤] فهو المضحي الاكبر في الإسلام والمدافع الأول والأخير عن نقائه وصفائه وبالتالي كانت بيعة الإمام علي هي البيعة الفريدة للأُمة الإسلامية حيث أجمعت كل طبقات المجتمع آنذاك على مبايعته، ولم تسبق لأحد ممن سبقه، ولم تتوقف عدسة الرصد لدى المؤلف قدس سره عند هذا الحد بل اتسعت بمدى دقتها لترصد اشخاصا كان لهم مواقف سلبية تجاه بيعة الإمام علي ولم يبايعوه لأسباب يوضحها ضمن منهاج بحثه حيث يصر صاحب الكتاب على رصدهم وتعيينهم بأسمائهم ومنهم سعد بن ابي وقاص وابن عمر الذي ذكره المؤلف بقوله: (وان ابن عمر الخسيس لأشد من سعد في التلبيس) وهاذان كانا لهم النصيب الأكبر في موقفهم السلبي الحاقد تجاه الإمام علي عليه السلام ضمن بودقة التحليل.

ولم ينتهِ بالسيد المؤلف تعقب أمثال هؤلاء عند هذا الحد لبيان عظم مظلومية الإمام على يد أناس هم أكثر الناس ممن عرفوا وروا فضله، لكن نفوسهم المريضة كانت أشد عليهم من أنْ يكون لهم ضميرٌ حيٌّ ولو لمرة واحدة ينصفوا بها هذا الرجل، فتتحرك بوصلته تجاه أكثر الشخصيات جدلاً في تلك الحقبة وأكثرها خلطاً ألا وهي ((عائشة)) حتى أنَّ سماحة المؤلف يعتبر أنَّ ما صدر منها من مواقف تجاه الإمام في خلافته ومن بعده يستحق كتابة دراسة شاملة عنها، ومن هنا يبدأ المؤلف مستعرضا مواقف عائشة المتناقضة ليوردها الواحد تلو الآخر فيذكر كلامها بحق عليٍّ في مواقف لتنقضه

بمواقـف أخـرى ورواية وأخـرى مخالفـــه وهكـذا، ويعـزز السـيد المؤلـف كلامـه مستشـهداً بأقـلام عربيـةٍ لامعـةٍ تبـين موقف عائشـة إبّـــان تلـك الفـترة وكيف كـان تجـــاه علي عليه السلام، قال عبـد الله عفيفـي في كتابه المـرأة العربيـة في جاهليتها واسـلامها: "وإن يـك عثمان قـد مـات مظلومـا فقـد عـاش عـليّ مـن بعـده مظلومـــاً، ومـن أشـد ظلمـةً أنّ تؤلـب عليـه أم المؤمنـين المسـلمين وأن تقـود الجنـود لقتالـه في وقعـة الجمل" وقـد أوضح السـيد أن هنالـك حزبين مـن أمهات المؤمنـين إبّان تلـك الفتنـة احداهمـا كانـت تنفـخ في لهيـب الفتنـة وتسـعرها ألا وهـي أم المؤمنين عائشـة ومـن انضم لحزبهـا مـن أمهـات المؤمنين أمثـال بنت أبي سـفيان والحـزب الآخـر الـذي لم يتنـاسَ أو يوهم نفسـه ان لم يسـمع مـن رسـول الله فضائل أمـير المؤمنين وهو حزب أم سـلمة وهـي التي أرسـلت ابنهـا عمر مع الإمـام عـلي ليشـهد المشـاهد كلهـا ويرسـله الإمام عـلي عامـلاً لـه في البحرين وكذلـك مـن كان معها ميمونـه بنـت الحـارث.

وتمتـدُ يّـد المؤلـف لتحكّم مـدى مكبرتـه وتركز أفـق عدسـته أكثر على مواقف النسـاء آنـذاك ليذكر عـددًا مـن لم يكـن مـن أمهـات المؤمنـين ولكن من ذوات الإيـمان ممـن سـمعن فضـل عـلي من رسـول الله صلى الله عليه وآله كليـلى الغفاريـة ومعـاذ الغفاريـة وأم أوفى العبديـة التـي وبخت عائشـة عن موقفهـا وغيرهن حيـث تطـرق لأحاديثهـن وذكرهـا بالتفصيـل عن فضـل أمـير المؤمنين عليه السلام.

وبعـد أنْ يتعـرض السـيد المؤلـف لكثيرٍ مـن الأحـداث والمواقـف والخُطـب لأمـــير المؤمنـين ليقطـف منهـا نصوصـا تبـين حجـم المعانـاة ممـن يعيـش معهـم ومظلوميتـه وهـو حاكـم عليهـم، وينتهـي بـه الحديـث لنـرى السـيد المؤلـف وهـو مُطِـلٌّ مـن نافذتـه وقـد أخـرج جـزءاً مـن جسـمه ممحصـا فيمـن يـرى ليشـاهد ركـب أمـير المؤمنـين قد غـادر البصرة بعـد انتصاره المهول على أهـــل الجمـل ومعـه عـلى جانبيـه في مسـيره الأحنـف بـن قيـس وشريـك بـن الاعـور ومعهـم الشـيعة مـن أهـل البـصرة حيـث انتهـوا بـه إلى منطقـة ((موقـوع)) وهـي نهايـة مـكان التشـييع للبـصرة ليسـتقبله وراء نجـران الكوفـة جمعٌ يمحـص فيهم المؤلـف النظـر ليجـد فيهم بل على رأسـهم سـليمان بـن صرد الخزاعـي والـذي عاتبـه الإمـام ولم يرضَ عنـه إلى حـين دخولـه الكوفـة ليقـول لـه سـليمان ((اسـتبق مـودتي تخلـص لـك نصيحتـي)) وكان ذلـك حسـب التقويم في رجب عـام ٣٦هـ وقيل في شـهر رمضان، ولم يـترك الإمام علي البـصرة إلاّ بيد أوثـق رجالـه ألا وهـو ابن عمـه عبد الله بـن عباس حيـث يتحـدّث عنه السـيد المؤلف ليقـول: (إنَّ ابن عباس كان رجل السـاحة والسـاعة مـع الامام عليه السلام ومستشـاره الأمـين وعاملـه المكـين، ولـه الحضـور المكثـف مـع الإمـام مشـاركاً في سـلمه وحروبـه نـاصراً وناصحـاً وقائـداً ومجاهـداً).

ثـم يتوجـهُ المؤلف لحـــلِّ بعض الإشـكالات التاريخيـة التـي أختلـف فيهـا المؤرخـون ومنهـا المـدة الزمنيـة التـي اسـتغرقها الإمـام حـين قـدم الكوفـة حتـى ملاقـاة معاويـة ليذكر المؤرخـون انها (٣ أشـهر)، وبعضهـم (٦ أشـهر) وآخريـن بزيـادة ونقصـان حتـى يناقـش الموضـوع نقاشـاً تاريخيـاً

رياضياً عقلياً ليستدل بعد تحليل عدة أحداث وربط الأزمان بينهما إلى أنَّ يحدد المدة الزمنية فكانت بحدود (١٧ شهراً) أيْ: أنْ حرب الجمل كانت بين سنة ٣٧هـ و٣٨هـ.

ولا يزالُ السيد المؤلف مدافعا عن ابن عباس ومظهرا لدوره القيادي في المعركة واصرار الإمام على عدم مباشرته الحرب لدوره المتميز ولكونه من القادة والمستشارين الكبار، وإن كانت له صولات معدودة بإذن الإمام عليه السلام، ويطلع السيد المؤلف على أهم المراسلات التي دارت بين ابن العاص وابن عباس وكيف كان ردّ ابن عباس عليه وكذلك مراسلات معاوية وابن عباس لعظم دور ابن عباس عند علي بن أبي طالب، وبعد أن يشاهد السيد المؤلف ليل الهرير بكل قساوة وكيف يقاتل الأشتر وابن عباس عن ميمنة وميسرة الإمام وكيف يقاتل الإمام في القلب ويدعو الكتائب تلو الأخرى حتى يرى أهل الشام دُنوَّ أهل العراق وقرب انكسارهم أمام العراقيين يرى أنَّ هنالك خدعة تحاك في غرف مظلمة ابطالها أناس باعوا ضمائرهم وكانوا للشيطان أعواناً فيذكر حديث ابن العاص لمعاوية برفع المصاحف وهنا يترك السيد المؤلف الحديث وهو ينصتُ إلى عميد الادب العربي طه حسين

١- أنَّ أغلب الرؤساء الذين قاتلوا مع علي لم يكونوا مخلصين لعلي بنفوسهم وقلوبهم وكانوا يتحسرون على تلك الأيام الهنية والهدايا والعطايا زمن عثمان.

٢- إن علياً لم يقاتل بأهل الكوفة أو من تبعه من الحجاز فقط بل كان معه ألوف من البصرة ممن وفى له يوم الجمل أو اعتزل آنذاك أو ممن انهزم وبالتالي كانوا عثمانية لا يقاتلون مع علي عن رضى وصدق.

٣- شخصية الأشعث بن قيس إذ كان واحداً ممن تنطبق عليه المواصفات السابقة وهو المرتد بعد النبي والتائب فيما بعد والخامل بزمن عمر والبارز بزمن عثمان وهو داهية العراق.

٤- حكم الاختلاط والتواصل بين الفريقين الذين كان يجري بينهم، خصوصا في شهر المحرم الذي توادعا فيه فلم يكن من العسير أنْ يلتقي الفريقان بأمن ودعه.

٥- كان من المؤكد أنْ جرى التواصل بين الأشعث وابن العاص لتدبير هذه المكيدة فيما لو غلبت كفة الشام.

متحدثـاً عن قضيـة التحكيـم بتفصيلٍ دقيـقٍ ليذكر أسـباباً غايـة الأهميـة في وقـوع الفتنـة اهمها:

وهنـا يصـوب السـيد المؤلـف كلام طه حسـين ويعضـد رأيـــه ويضيـف لـه موقـف الأشـعث وخطبتـه في اثنـاء ليلـة الهريـر، والتفـات معاويـة لـه وذهابـه اليـه ليسـتبعد السـيد المؤلـف الصدفـة كليـاً فيـما جـرى مـن مؤامـرة وخبـث، ويضيـف مـن مواقـف الاشـعث ونزاعـه مـع الأشـتر ومدى تأمـره عـلى الامـام ما ينـدى لـه الجبين حيـث يذكر المؤلـف العديـد مـن المواقـف التـي تحـدّث بهـا أصحـاب النبـي عـن الأَشـعث وشـخصيته التافهة وخبثـه في الإسـلام ووضاعته، وذكـر المؤلف الآثار السـيئة لهـذه الخدعة عـلى الامام وكيـف جعلت منه مضطهـدًا بـين اتباعه حتـى يقول (ولله صـبر الإمام ومـن معه عـلى تلـك المحنة) ثـم ينطلـق المؤلف إلى معيـارٍ جديـدٍ لطبقـات الناس حـول الامـام فيذكر الحديـث عـن الامـــام ابي جعفـــر عليه السلام حيث يقـول: ((كان عـلي بـن أبي طالـب عندكـم بالعراق يقاتـل عـدوه ومعـه اصحابـــه ومـا كان فيهـم خمسـون رجلا يعرفونه حـق معرفته، وحـق معرفته امامتـه)) حيـث لم يكونـوا عـلى خـطٍ مسـتقيم بـل أنـماطٌ وأهـواءُ ورجـالٌ تتفـاوت طاعتهـم كتفاوت أعمارهـم وأحسابهـــم وأنسـابهم، ويذكـر عـدة نـماذج منهـم وهنـا نجـد أنَّ المؤلـف قـد عـزم عـلى أنّ يتطـرَّق إلى اسـماء كـما وصفهـم (عـلى المحـك) ممـن كانـوا يحسـبون عـلى الأئمـة والتشـيع ولكنهم تزلزلـت أقدامهـم عنـد الامتحـان على حـدِّ وصفهِ حتـى قـال المؤلـف: (صرت أعجـب مـن الشـيخ الطـوسي وممـن ذكر أولئـك في أصحـاب الأئمة ولم يذكرهـم لـكان الإهمـال أولى بأولئـك الرجـال... حتـى يقـول ثـم رأيـت في التنبيـه عـلى بعـض أحوالهـم في صميـم التصحيـح لذلـك المـوروث) حيث يبـدأ المؤلـف برجال الشـيخ الطـوسي فيذكر بعـض الأسـماء الرنانة التـي كان لها موقـف واضح مـن الاعـتراض عـلى الإمـام في حادثـة اسـتبدال رياسـة اليمانية من الأشـعث الى حسـان بـن مخدوج وهـم (الأشـتر وهـاني بـن عـروة، وعـدي الطائي، وزحـر بـن قيـس) وهـؤلاء مـن النمـط العـالي من الـولاء الـذي أثـار موقفهم هـذا فتنة كادت تسـتعر في ذلـك الوقت، واسـتغلها معاويـة في التهييج على الإمـــام عليه السلام فأين الاخـــلاص والنصيحة؟ وايـن الـولاء والطاعـة؟ إنهـا صـورة جانـبٍ مـن مِحـن الإمام كـما وصفها المؤلـف بالدقة، ثـم ينحدر المؤلـف بذكر مواقـف الإمام ومدى تأثـره بمواقف قومـه واتباعـه من أَهـل العـراق حيث تخاذلـوا عنه فقـد أورد الأحاديـث والخُطب العديـدة حول ذلك حيـث قال: ((منيـت بمـن لا يطيع إذا أمـرت، ولا يجيـب اذا دعوت، لا ابـا لكم ما تنتظـرون بنصركم ربكـم أمـا ديـنٌ يجمعكـم ولا حميـة تحشـمكم)) وهـذا نمـوذج مـن عـدة خُطـب وبَّـخ وعاتـب ووصـف فيهـا أصحابـه وتثاقلهـم أدرجهـا المؤلف لتبـين حـال الإمـام في قومه، ثـم يقـارن المؤلف بين نـص للإمـام عـليٍّ عليه السلام أطلقـه لابـن عبـاس يبـث فيـه همومه وشـكواه بعـد أنْ دخـل عليـه في إحدى الليـالي، وبـين نـص الشقشـقية التـي يوكّـد المؤلف على قـرب المدة الزمنيـة بينهما وكلاهمـا بعد رجوعه مـن النهـروان ليثبـت مـن بعـد ذلـك عظـم منزلـة ابـن عبـاس ويعتـبره أَوج الثقة وحجـم العلاقة بين

الإمام ومأمومه، وهذا ما تناوله المؤلف كثيرا خلال سيرة كتابته إذ كان يعظِّم من موقف ابن عباس ويجعله في أعلى مراتب الأصحاب الموالين للإمام وكبير مستشاريه.

وهنا نلاحظ ان السيد الخرسان قد امسك بجانب النافذة ليغلقها بعد أن اطلَّع على كُلّ ما ذكرناه وتوسع وفصل وغاص في أعماق قد تكون صعبة الوصول لما بها من عراقيل ومغاليق حاول أن يفتحها على الرغم من أنّ فتحها ليس باليسير وبالتالي في نهاية المطاف كان قد لجأ إلى قلم كبيرٍ من كُتّابِ بلادِ مصر في الوقت المعاصر وهو العقاد بعد أنْ كان قد استشهد بطه حسين مراراً ليسرد منه هذا المقطع الرائع: "وقد اختار الكوفة فكانت أوفق عاصمة للإمامة العالمية في تلك المرحلة من مراحل الدولة الاسلامية، لأنها كانت ملتقى الشعوب من جميع الأجناس وكانت بمثابة التجارة بين الهند وفارس واليمن والعراق والشام، وكانت العاصمة الثقافية التي ترعرعت فيها مدارس الكتابة واللغة والقراءات والأنساب والأفانين الشعرية والروايات، فهي أليقُ العواصم في ذلك العصر بحكومة الإمام وما زالت الإمامة لاحقة بعلي ومحيطة به حيث تحول وحيث اقام".

وبينما يتجه المؤلف لإنهاء سرد مشاهداته عبر النافذة نرى قلمه يميل ليدرج كمّاً من الأقوال والحِكَم عن علي بن ابي طالب من قبل اشخاص كانت لهم بصمة في عالم الفكر والمعرفة مثل جبران جبران وتوماس كارليل وكارادیفو، ولم يغفل العقاد مرةً أخرى ليذكر له كلاما في حق شخصية الإمام علي عليه السلام وميخائيل نعيمة الذي تحدث عن بطولة الإمام إلّا أنَّ المؤلف كان مُصراً على أنّ يثبت مظلومية الإمام فيقول معلقا على كلام نعيمة (إلا أنه لم يذكر عن بطولة الإمام صبره على شدة معاناته من تكالب أعدائه، وتخاذل أوليائه فهو مظلوم وأيُّ مظلوم؛ ولذلك كان بطلاً في صبره على ظلامته..الخ).

وبذلك كانت الظلامة والشكوى هي العنوان الرئيس لحياة الإمام علي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله حتى استشهاده عليه السلام، إذ عزّز المؤلف كل ذلك بالمواقف والشواهد التاريخية والأحاديث المروية عن الأئمة ورجال التاريخ من كلا الطرفين وكل ما يثبت ظلامته عليه السلام.

١. صحيح البخاري: ٦.
٢. تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون: ١٨٥.
٣. محمد عبدة، نهج البلاغة ١: ١٣
٤. البلاذري، انساب الاشراف: ٢/ ٢٠٠.

حوار ثقافي

- حوار مع الأستاذ المتمرس الدكتور
  حسن عيسى الحكيم

في حواره مع مجلة الولاية
الأستاذ المتمرس الدكتور حسن عيسى الحكيم:

طلب مني السيد الخوئي قدس سره أن أستمر بالكتابة واشترى مني (٢٠٠) نسخة من أول كتاب طُبع لي بعنوان (الشيخ الطوسي) ليوزعها على المكتبات والمدارس.

حاوره: هاشم الباججي

قامة علمية اكاديمية نجفية.. شق طريقه بنجاحٍ وتفوقٍ رغم الظروف الصعبة التي واجهته في أيام النظام السابق، كونه ينتمي الى اسرةٍ علميةٍ عريقةٍ، لكنه عمل بجدٍ واجتهاد وتدرَّج في عالم العلم والمعرفة حتى نال أعلى الدرجات الاكاديمية وأسماها، وبعد سقوط النظام ترأس جامعة الكوفة عن طريق الانتخاب، فهو أول رئيس جامعة منتخب في العراق، عرف بمؤلفاته التاريخية القيمة ولعل موسوعة (المفصل في تاريخ النجف) التي بلغت خمسين مجلدا خير شاهد على ذلك، ولتسليط الضوء على هذه الشخصية العلمية كان لمجلة الولاية هذا اللقاء.

السـيرة الذاتيـــة المختـصرة لجنابكـم الكريـــم؟

مـن مواليـد مدينـة النجـف الاشرف عـام ١٩٤١م، أكملـت الدراسـة الأوليـة في النجـف، وحصلـت عـلى البكالوريـوس مـن كليـة الاداب في جامعـة بغـداد عـام ١٩٦٦م، وماجسـتير في التاريـخ الإسـلامي مـن الكليـة نفسـها عـام ١٩٧٤م، والدكتـوراه مـن الكليـة ذاتهـا عـام ١٩٨٢م.

الممارسة التعليمية لجنابكم؟

كنـت مدرسـا في المـدارس الثانويـة، ثـم انتقلـت الى التدريـس الجامعـي وحصلـت عـلى لقـب مـدرس مسـاعد ثـم مـدرس ثـم أسـتاذ مسـاعد، ثـم الاسـتاذية، وفي عـام ١٩٩٦ م حصلـت عـلى لقـب الأسـتاذ الأول في جامعـة الكوفـة، وقـد أشرفـت عـلى العديـد مـن رسـائل الماجسـتير واطروحـات الدكتـوراه، وأصبحـت خبـيراً علميـاً في الرسـائل والاطروحـات في معظـم الجامعات العراقيـة.

مـا أبـرز المؤسســـات العلمية والثقافية التـي عملتـم بهـا؟

عضـو ورئيـس اتحـاد الادبـاء والكتـاب، عضـو جمعيـة المؤرخـين العراقيـين، عضـــو جمعيـة العـراق الفلسـفية، عضـــو جمعيـة منتـدى النـشر، عضـو جامعـة دار الحكمـة في كنـدا، عضـو لجنـة احيـاء الـتراث العـربي الإسـلامي، عضـــو جمعيـة ادبـاء بـلا حدود

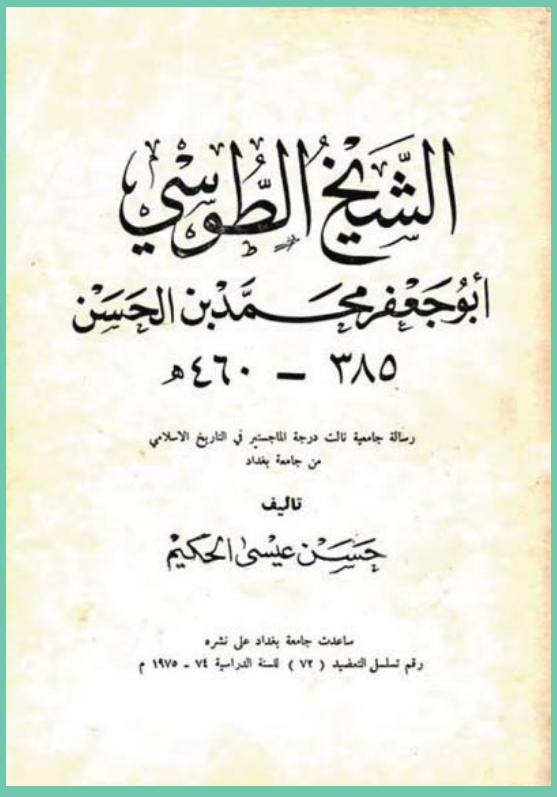

لـدي العديـد مـن المؤلفـــات، منهـا: المفصـل في تاريـخ النجـف الاشرف (٥٠ جـزءاً)، الشـيخ الطـوسي، كتـاب المنتظـم لابـن الجـوزي، الامـام عـلي روح الاسـلام الخالـد، فاطمـة الزهـراء شـهاب النبـوة االثاقـب، السـيرة النبويـة في دراسـات المسـتشرقين..

في ولاية مشيكان بامريكا، ورئيس المجلس العلمي الاستشاري لمركز الامام أمير المؤمنين للدراسات والبحوث التخصصية.

ما أبرز الجامعات التي عملتم فيها؟

عملت في جامعات عديدة منها جامعة الكوفة، والسليمانية وبغداد والمستنصرية والقادسية، وجامعة كربلاء، وكذلك عملت في جامعة عدن في اليمن.

ما عدد مؤلفاتكم، وأهمها؟

لدي العديد من المؤلفات، منها: المفصل في تاريخ النجف الاشرف (٥٠ جزءاً)، الشيخ الطوسي، كتاب المنتظم لابن الجوزي، الامام علي روح الاسلام الخالد، فاطمة الزهراء شهاب النبوة االثاقب، السيرة النبوية في دراسات المستشرقين، السيرة النبوية في مناهج الاخباريين والمؤرخين، مباحث تاريخية في ضوء الرؤية القرآنية، بغداد في تراث ابي العلاء المعري، الشيخ الصدوق، الشيخ المفيد، الشريف المرتضى، الشيخ النجاشي، الاجتهاد الفقهي، مذاهب الاسلاميين في علوم الحديث .

النجف مدينة علمية ولاسيما بحوزتها ومراجعها، ما ذكرياتكم مع العلماء؟؟

سأنقل لك حادثة حصلت لي مع أستاذ الفقهاء السيد الخوئي قدس سره وسترى مدى اهتمام العلماء بالعلم والمعرفة : عندما طبعت جامعة بغداد رسالتي للماجستير كتاب (الشيخ الطوسي) سنة ١٩٧٤، أرسل السيد الخوئي قدس سره طلبا للقائي، وبالفعل ذهبت في صباح اليوم التالي الى البراني (مكتبه) فاستقبلني ولده السيد جمال رحمه الله وطلب مني أنْ اجلس بجانب السيد وكان مجلسا مكتظا بالعلماء والطلبة، وعندما جلست بجانب السيد عرَّفه بي فرحب بي السيد الخوئي كثيراً، وقال لي: لقد قرأت كتابك وافرحني كثيراً وناقشني في بعض مواضيع الكتاب فعرفت انه قرأه بتمعن، وطلب مني أن أستمر بالكتابة عن علمائنا الاعلام، ثم سألني عن سعر الكتاب، فقلت له بدينارين فقال: سأشتري منك (٢٠٠) نسخة وأوزعها على المكتبات والشخصيات، وكان بجانبه أحد العلماء لا أتذكر اسمه أيضا طلب مني شراء (٥٠) نسخة، فاستلمت حينها خمسمائة دينار وكان وقتها مبلغا كبيرا، فأفرحني ذلك كثيرا وانا أرى المرجع الأعلى للامة مهتما بكتابي فشجعتني هذه الحادثة على الاستمرار بالكتابة والابداع فيها.

انجازكم العلمي المهم في موسوعة المفصل، كيف تكونت الفكرة، وما أهميته التاريخية؟

تعمقت في نفسي فكرة لتدوين تاريخ النجف الاشرف، بعد أن لم أجد موسوعة مفصلة متكاملة عن هذه المدينة العلمية العريقة، وهذا ناتج من صعوبة البحث حينما يقال (النجف الاشرف مدينة في عالم).

تعتـبر النجـف الاشرف عاصمـة العـالم الإسـلامي في المرجعيـة والفكـر والدراسـات والأبحـاث رغـم الظـروف القاسـية التـي مـرت بهـا، وبالرغـم مـن ذلـك يسـتمر نتاجهـا العلمـي والمعـرفي والفكـري واحيـاء التقاليـد الاجتماعيـة والدينيـة

كأسـتاذٍ متخصـص بالتاريـخ مـا أهميـة التاريـخ بالنسـبة للمجتمـع والفـرد؟

التاريـخ هـو مـاضٍ ولكنـه يقـدم للحـاضر الكثـير فمنـه نقتبـس العـبر والاحـداث والـدروس والمواقـف، ولابـد أن يكـون التمييز صحيحـا وموضوعيـا وبالتـالي ستكشـف جميـع الآراء الهزيلـة والمزيفـة، ليكـون مفيـدا وناجعـا.

ما أبرز المعالم التاريخية في النجف؟

هنـاك الكثـير مـن المعـالم التاريخيـة في مدينـة النجـف الدينيـة منهـا والاثريـة، ولعـل أبرزهـا هـو المرقـد الحيـدري الشريـف عـبر تاريخـه الطويـل وعماراتـه الرائعـة، وأيضـا وادي السـلام تلـك المقـبرة العظيمـة التـي تعـد اليـوم مـن اكـبر المقابـر في العـالم، وبحـر النجـف، واسـوار النجـف التاريخيـة، والمـدارس الدينيـة والمكتبـات والبيـوت القديمـة والازقـة وغيرها الكثـير.

كيـف تنظـرون للواقـع العلمـي والثقـافي اليـوم؟

تعتـبر النجـف الاشرف عاصمـة العـالم الإسـلامي في المرجعيـة والفكـر والدراسـات والأبحـاث رغـم الظـروف القاسـية التـي مـرت بهـا، وبالرغـم مـن ذلـك يسـتمر نتاجهـا العلمـي والمعـرفي والفكـري واحيـاء التقاليـد الاجتماعيـة والدينيـة مـن خـلال بعدهـا الحضـاري والفكـري.

هـل تـرى اهتـمام بالأماكـن التاريخيـة عـلى مسـتوى الدولـة او المؤسسـات الثقافيـة؟

مـع الأسـف لم أجـد الاهتـمام الـكافي مـن قبـل الدولـة وبالرغـم مـن وجـود بعـض

عملـت في جامعـات عديـدة منهـا جامعـة الكوفـة، والسـليمانية وبغـداد والمسـتنصرية والقادسـية، وجامعـة كربـلاء، وكذلـك عملـت في جامعـة عـدن في اليمـن

المشاريع الا انها ليست بالمستوى المطلوب، وطالبنا المسؤولين مراراً وتكرار عند زيارتهم لجامعة الكوفة - عندما كنت رئيسا للجامعة - الالتفات الى هذه المدينة العلميّة العريقة التي هي محط انظار العالم، فلابد أنْ تكون النجف الاشرف منفردة في العمران والبناء لما لها من عمق حضاري.

ما رأيكم في المشاريع التي تقيمها العتبة العلوية في تطوير العتبة؟

أرى توجّهاً جدِّياً في المشاريع العمرانية التي تقيمها العتبة العلوية المقدسة، وهذا شيءٌ جيدْ، ولابد من الحفاظ على الإرث القديم، فهناك بيوتات قديمة ومدارس وسراديب وآبار وأطواق لابد من الحفاظ عليها في أثناءِ تنفيذ المشاريع الحديثة.

ماذا تعني لك النجف كمدينة علمية تاريخية؟

النجف الاشرف تعني الفكر والعلم والاعتدال والحضارة والتاريخ، فهي مدينة تستحق منا كل العمل والجهد لتكون مثالا رائعا للعالم بفكرها المعتدل وعلمائها الاعلام ومرقدها منارة الايمان والتقى.

كيف نحافظ على الاماكن التاريخية في المدينة؟

لابد من المسؤولين في المدينة المحافظة على بعض الأماكن المهمة التي تعتبر هوية النجف، فلابد من ترميم سور النجف المتبقي وإعادته، فله رمزية كبيرة لهذه المدينة، وكذلك لابد من الحفاظ على جبل الحويش وترميم الاطواق التي توجد في المحلات القديمة من هذه المدينة.

كلمة أخيرة؟

لدي بعض الكلمات أتمنى أن تصل الى من يهمه الامر:

لابد أن يكون لوادي السلام قدسية وإيقاف التجاوزات، وتحويل بحر النجف الى متنزه للزائرين والوافدين لهذه المدينة، ولابد من احياء طريق الحج البري، وأرجو أنْ تبنى بوابات لمداخل النجف تليق بقدسيتها وفكرها، ومن الناحية الفكرية أرجو أنّ يتم الاهتمام بالمخطوطات وتحقيقها .

وأخيرا ارجو أنّ تستعين المحافظة ومجلسها وبلديتها بذوي الاختصاص في التاريخ والتراث.

الشرق والغرب

- الرد على المستشرقين في ضوء روايات أهل البيت عليهم السلام تلقي الوحي أنموذجاً

م.د ساجد صباح العسكري
كلية الامام الصادق - ذي قار

- الفكـر الغـربي وأثر العولمة في سيادة الدولـــة

الباحث محمد باقر الحسناوي

الرد على المستشرقين في ضوء روايات أهل البيت عليهم السلام
تلقي الوحي أنموذجاً

م.د ساجد صباح العسكري
كلية الامام الصادق - ذي قار

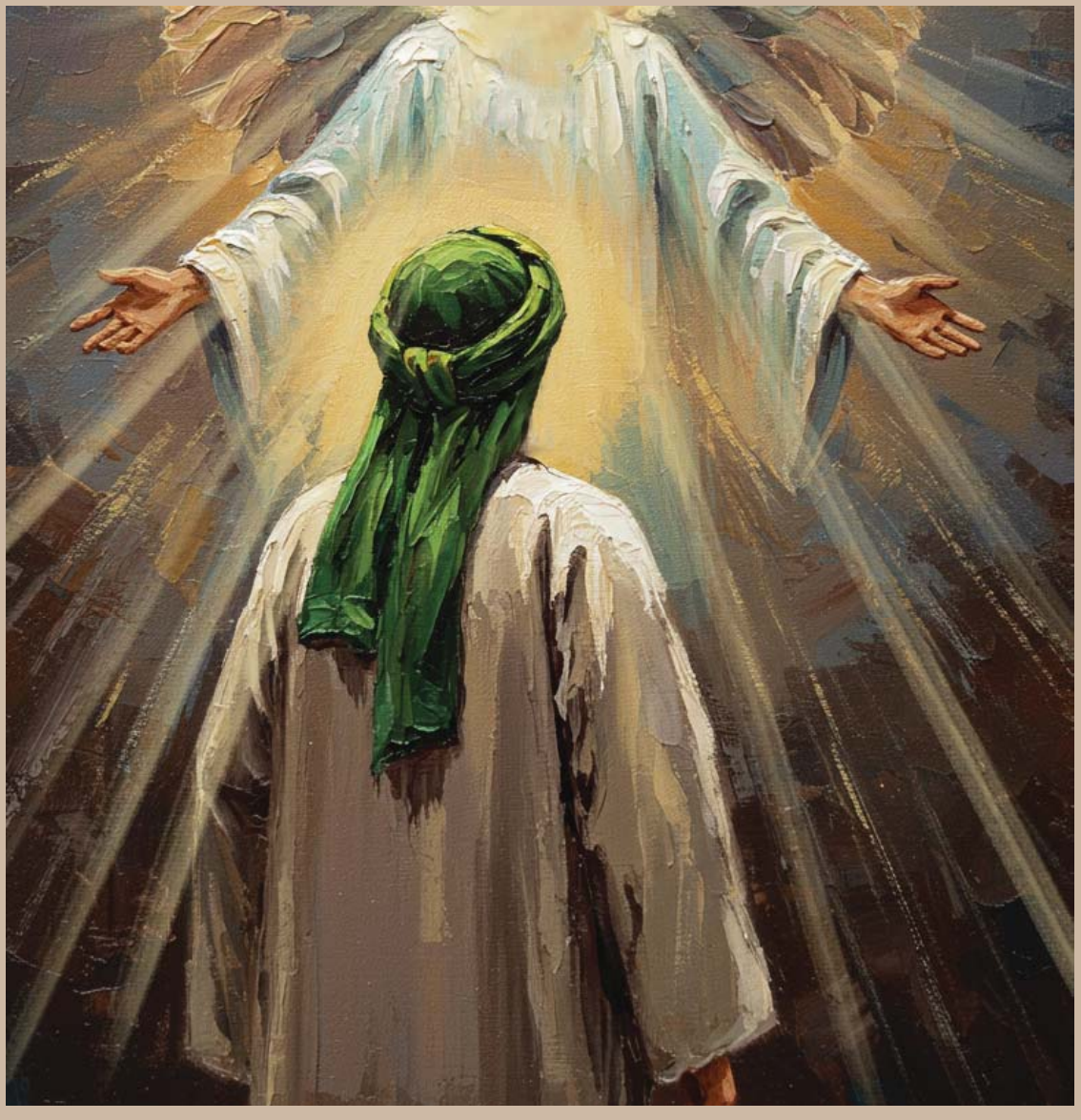

استند بعض المستشرقين على بعض الروايات التي وردت في كتب الحديث والتفسير؛ للترويج لشبهة عدم عصمة النبي في تلّقي الوحي، ومن ثَمَ التشكيك في صحة ما جاء به النبي الأكرم ﷺ.

ومن تلك الروايات ما رواه البخاري بسنده ((فتر الوحي فترة حتى حزن النبي ﷺ فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال! فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه، تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقاً، فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك! فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك))[1].

وروى أيضاً بسنده عن عائشة: ((أن الحرث بن هشام (رضي الله عنه) سأل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله ﷺ أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى قد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول))[2].

ومن الروايات التي فتحت الباب لمطاعن المستشرقين، أسطورة الغرانيق التي تتعارض مع الاعتقاد بعصمة النبي في تلقي الوحي وتبليغه[3].

هذه الروايات وغيرها التي يستلزم منها التشكيك في مصدرية الوحي، فتح الباب واسعاً للمستشرقين للطعن في القرآن الكريم والتشكيك بما جاء به الرسول ﷺ، يقول الألماني بروكلمن (ت: ١٩٥٦م): "ولكنه -يعني الرسول ﷺ- على ما يظهر اعترف في السنوات الأولى من بعثته بآلهة الكعبة الثلاث اللواتي كان مواطنوه يعتبرونها بنات الله، ولقد أشار إليهن في إحدى الآيات الموحاة إليه بقوله: (تلك الغرانيق(*) العلى وإن شفاعتهن ترتضى)"[4].

وقد أشار المستشرق البريطاني منتجمري وات(*) إلى ذلك عندما سمى الآيات المزعومة في قصة الغرانيق بالآيات الشيطانية[5].

ولو رجعنا لروايات الأئمة المعصومين عليهم السلام وما نقل عنهم في التراث الإمامي، لما أمكن للمستشرقين ولا لغيرهم الطعن في الرسول والرسالة؛ ولكن ذلك لا ينسجم مع ما يهدفون إليه.

ويمكن تلخيص موقف أهل البيت من صور نزول الوحي وعصمة الرسول ﷺ في تلقي الوحي بالتالي:

أولاً: التأكيد على العناية الإلهية للنبي عند تلقي الوحي:

جاء عن الإمام الباقر عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾[الجن: ٢٦] قوله عليه السلام: ((يوكّل الله تعالى بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم ويؤدّون إليه تبليغهم الرسالة، ووكّل بمحمّد ﷺ ملكاً عظيماً منذ فصل من الرضاع يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق، ويصدّه عن الشرّ ومساوئ الأخلاق وهو الذي كان يناديه: السلام عليك يا محمّد يا رسول الله))[6].

وروي عن زرارة قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ((كيف لم يخف رسول الله صلى الله عليه واله فيما يأتيه من قبل الله أن يكون ذلك مما ينزغ به الشيطان قال: فقال: إنّ الله إذا اتخذ عبداً رسولاً أنزل عليه السكينة والوقار، فكان [الذي] يأتيه من قبل الله مثل الذي يراه بعينه))[7].

ثانياً: بيان كيفية نزول جبرائيل

روى الصدوق بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((كان جبرئيل إذا أتى النبي ﷺ قعد بين يديه قعدة

العبد، وكان لا يدخل حتى يستأذنه))[٨].

وروى الكليني بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام: ((إن جبرئيل كان يجيء فيستأذن على رسول الله، و إن كان على حال لا ينبغي أن يأذن له قام في مكانه حتى يخرج إليه، وإن أذن له دخل عليه، فقلت: وأين المكان؟ قال: حيال الميزاب الذي إذ أخرجت من الباب الذي يقال له: باب فاطمة بحذاء القبر، إذا رفعت رأسك بحذاء الميزاب، والميزاب فوق رأسك، والباب من وراء ظهرك))[٩].

ثالثاً: التفريق بين صور الوحي الرسالي:

ذكر العلماء والمفسرون إن للوحي الرسالي صوراً متعددة يمكن حصرها في ثلاث صور(١٠):

١- الوحي المباشر (تكليم الله من دون واسطة وترجمان).

٢- الوحي عن طريق الملك جبرائيل.

٣- النفث في الروع ومنه المنامات الصادقة

وقد جمعت هذه الصور في قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْياً أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾**(الشورى: ٥١).

وجاءت روايات المعصومين عليهم السلام لتُفرّق بين هذه الصور لدفع اللبس الحاصل من الخلط بين الوحي المباشر، والوحي عن طريق الملك.

فقد روى الصدوق بسنده عن عبيد بن زرارة، عن أبيه قال: ((قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك الغشية التي كانت تصيب رسول الله صلى الله عليه وآله إذا نزل عليه الوحي؟ قال: فقال ذلك إذا لم يكن بينه وبين الله أحد، ذاك إذا تجلى الله له، قال: ثم قال: تلك النبوة يا زرارة، وأقبل يتخشع))[١١].

روى الطوسي بسنده عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((قال بعض أصحابنا: أصلحك الله، أكان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: قال جبرئيل، وهذا جبرئيل يأمرني، ثم يكون في حال أخرى يغمى عليه؟ قال: فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنه إذا كان الوحي من الله إليه ليس بينهما جبرئيل أصابه ذلك لثقل الوحي من الله، وإذا كان بينهما جبرئيل لم يصبه ذلك فقال: قال لي جبرئيل، وهذا جبرئيل))[١٢].

فالمعصوم يوضح أنَّ الغشية التي تأخذ الرسول عند نزول الوحي مباشرة عند تكليم الله من دون واسطة وترجمان وليست عند نزول جبرائيل، وقد أوضح ذلك العلامة الطباطبائي فيما تقدم.

---

١. صحيح البخاري: ٦/ ٨٨.
٢. المصدر نفسه: ١/ ٣.
(*) الغرانيق: جمع غرنوق وهو طير أبيض طويل العنق، فشبه المشركون أصنامهم بالطيور التي تعلو في السماء(ينظر: لسان العرب: ١٠/ ٢٨٧).
٣. ظ: تفسير الطبري: ١٧/ ٢٤٥- ٢٤٦، ابن حجر، فتح الباري: ٨/ ٣٣٣، السيوطي، الدر المنثور: ٤/ ١٩٤.
٤. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية: ٣٤.
(*) المستشرق البريطاني منتجمري وات
٥. ظ: منتجمري وات، محمد في مكة: ١٩٦.
٦. بحار الأنوار: ١٥/ ٣٦١- ٣٦٢.
٧. محمد بن مسعود العياشي، تفسير العياشي: ٢/ ٢٠١.
٨. الصدوق، علل الشرائع،: ١/ ٧.
٩. الكليني، الكافي: ٤/ ٤٥٢.
١٠. ظ: محمد هادي معرفة، التمهيد: ١/ ٩٤- ١٠١.
١١. الصدوق، التوحيد،: ١١٥.
١٢. الطوسي، الأمالي،: ٦٦٣.

الفكـر الغـربي
وأثـــر العولمـــة في سيـــادة الدولـــة

الباحث محمد باقر الحسناوي

برزَ مفهوم العولمـــة في العقد الأخير من القرن العشرين، أي الفترة التي أعقبت تفكـــك الاتحاد السوفيتي والكتلة الاشتراكية في أوروبا الشرقية، وقد رافق هذه الأحداث الترويج والتشريع لعالم ذي قطب واحد، ودعوة لحقوق الإنسان والديمقراطية والمجتمع المدني وصـــراع الحضارات والنظام الدولي الجديد وغير ذلك من المفاهيم.

وهكذا كان الحـــال، حيث تظهر مصطلحات ومفاهيم لدى الغرب وأمريكا وما أن تظهر هـــذه المفاهيم حتى يبـــدأ الكتاب والباحثون العرب، بالدراسة والبحث والتحليل لهذه المفاهيم بين مؤيد ومعارض لها، تعقد النـــدوات والحلقات الدراسية لمناقشتها وتُنشر البحوث والدراسات عنها، هنالك من يصف ظاهرة العولمة وكأنها مثـــال للتحولات الكبرى في التـــاريخ التي معها وبها تتداعى شبكة العلائق والدلالات للمعاني التي رسخت طويلاً عن الأشياء، فتحتاج تبعاً لذلك الى أنْ يعاد تعريفها وبناؤها في الوعي في ضـــوء الحقائق الجديدة، ومع هذا الرأي يفترض أنْ يصاحب هذا التحول الكوني الجديد والصاخب للعولمة إعادة النظر في كثير من الأفكار والتصـــورات والمعارف التي ولدتها لحظات او مراحل تاريخية مختلفة منصرمة، وكذلك إجراء مراجعة شاملة لكمٍّ هائلٍ من المذاهب والمعتقدات السياسية والاقتصادية والثقافية التي سادت في كثيرٍ من المجتمعات في هذا العالم الواسع.

وهناك مـــن يتحدث بشكل مهـــول عما يسمى بالتحول الكوني وأن العالم على أعتـــاب ولوج عالم جديد، إلا أن ذلك يبقى محض افتراض يحتـــاج الى إثبات في حسابـــات التحليل الكمي وانه من السابق لأوانه الاطمئنان الى ان الاتجاه سيفضي الى عالم جديد، او ان المجتمعات سائرة نحو نهاية المجالات الوطنية والسيادة في مجالات السياسة والاقتصاد والثقافة.

ومن الجدير بالإشارة إلى أنَّ الدولـــة العظمى التي تعمل على الترويج للعولمة وفرضها بمستوياتها المختلفة هي الولايات المتحدة الأمريكية، مستخدمةً في ذلك سيطرتهـــا السياسية وقدرتها العسكرية وتقنيات الاتصال الحديثة، وقد وصل الأمر بالبعض الى اعتبار العولمة قدراً لا مردّ له ونهاية للتاريخ بعد هزيمة النموذج المقابل الذي حاول الاتحاد السوفيتي تقديمه طيلة السنوات السابقة؛ ولذلك يفضل نقاد العولمة تسميتها (بالأمركة) توخياً للدّقة، وللمؤيدين

والمعارضين محاور وملاحظـات على العولمة وهي جديـرة بالاهتمام والمناقشة، تتلخص في مؤثراتها السلبية والايجابية.

ومن الطبيعي أن يتفـاوت فهم الأفراد للعولمة ومضامينها المختلفة، فلا يمكن حصر العولمة وتحديدها في تعريفٍ واحدٍ مهما اتصف هذا التعريف بالشمول والدقة، فالاقتصـادي الذي يركز على المستجدات الاقتصادية العالمية وطبيعة المرحلة الراهنة من التراكم الرأسمالي على الصعيد العالمي يتهم العولمة، بخلاف عالم السياسة الذي يبحث عن تأثير التطورات العالمية والتكنولوجية المعاصرة على الدولة ودورها في عالم يزداد انكماشاً يوماً بعد يوم، كما أن عالم الاجتماع يرصد بروز القضايا العالمية المعاصـرة، كقضايا الانفجار السكاني والبيئة والفقر و المخدرات وازدحـام المدن والإرهاب بالإضافـة إلى بروز المجتمع المدني على الصعيد العالمي يفهم العولمة بخلاف المهتم بالشأن الثقافي الذي يهمه مـا يحدث من انفتاح للثقافات والحضارات وترابطها مع بعضها بعضاً، واحتمالات هيمنة الثقافة الاستهلاكية وتهديدها للقيم والقناعات المحلية.

لـذا أصبح مـن الضروري التمييز بين "العولمة الاقتصادية و"العولمة الثقافيـة و"العولمة العلمية و"العولمة الاجتماعية، و"العولمة السياسية"، فلا توجد عولمة واحدة.

أثـر العولمة في سـيادة الدولة وسياساتها الخارجية (الابعاد السياسية للعولمة):

تعد السياسـة مـن أبـرز اختصاصـات الدولة القوميـة التي تحرص على عدم التفريط بها ضمن نطاقها الجغرافي ومجالها الوطني، وهذا الحرص ضِمن المجال المحلي، وبعيداً عن التدخلات الخارجية التي ترتبط أشد الارتباط بمفهوم السيادة وممارسة الدولة لصلاحياتها وسلطاتها على شعبهـا وأرضها وثرواتها الطبيعية.

والدولة القوميـة هي نَقيض العولمة، كما أن السياسة ونتيجةً لطبيعتها ستكون مـن أكثر الأبعاد الحياتية مقاومة للعولمة التي تتضمن انكماش العالم وإلغاء الحدود الجغرافية وربط الاقتصادات والثقافات والمجتمعات والأفراد بروابط تتخطى الدول وتتجاوز سيطرتها التقليدية على مجالها الوطني والمحلِّي .

إن الدولة التي كانـت دائماً الوحدة الارتكازية لكل النشاطات والقرارات والتشريعـات أصبحت الآن مجرد وحـدة ضمن شبكة من العلاقات والوحدات الكثيرة في عـالم يزداد انكماشاً وترابطاً، فالقرارات التي تتخذ في عاصمة من العواصم العالمية سرعان ما تنتشر انتشـاراً سريعاً إلى كل العواصم، والتشريعـات التي تخصُ دولةً من الدول تستحوذ مباشرة على اهتمام العالم بأسره، والسياسات التي تستهدف قطاعات اجتماعية في مجتمع من المجتمعات تؤثر تأثيراً حاسماً في السياسات الداخلية والخارجية لكل المجتمعات القريبة والبعيدة.

ترتبط "العولمة السياسية" ببروز مجموعة من القوى العالمية والإقليميـة و المحلية الجديدة خلال عقد التسعينات، والتي أخذت تنافس الـدول في المجال السياسي، ومـن أبرز هذه القوى التكتلات التجارية الإقليمية كالسوق الأوروبية المشتركة لتشكل وحدة نقدية تعمل من خـلال المصرف المركزي الأوروبي الذي أنشئ عام ١٩٩٩ ليشرف على عملة اليورو.

إن النموذج الاندماجي الأوروبي يقوم أساساً على تخلي الدول الأوروبية الطوعي عن بعض من مظاهر السيادة لصالح كيانٍ إقليميٍّ يتجه نحـــو الوحدة الاقتصادية، وربما لاحقاً الوحدة السياسية من خلال بروز الولايات المتحدة الأوروبية التي تتمتع بسياسة خارجية ودفاعية واحدة لتصبح قوة منافسة للولايات المتحدة الأمريكية خلال القرن القادم.

مع السياق الاقتصادي هنـــاك المؤسسات المالية والتجارية والاقتصادية العالمية، وفي مقدمتها منظمة التجارة العالمية، والتي تأسست عام ١٩٩٦ لتشرف إشرافاً كاملاً على النشاط التجاري العالمي، كما يشرف صندوق النقد الدولي على النظام المالي العالمي.

لقد أصبحت هذه المؤسسات التجارية والمالية من الضخامة والقوة، قادرةً على فرز قراراتها وتوجيهاتها لكل دول العالم، كذلك هناك الشركات العـــابرة للحدود التي شكلت نتيجة للتحالفات عابرة القارات بين الشركات الصناعية والمالية والخدماتية العملاقة في كُلٍّ من أوروبا وأمريكا واليابان.

إن ما تقوم بـــــه هذه الشركات هو إعادة رسم الخارطة الاقتصادية العالمية وزيادة سيطرتها وتحكمها في الأسواق العالمية وتوجيه سياساتها خلال القرن القادم.

ومع أن هـــذا التطور الذي يصب في سيـــاق بروز الحكـــم العالمي، والذي يتضمن بـــروز شبكة من المؤسســـات العالمية المترابطة التي تضم الدول والمنظمات غير الحكومية والشـركات العابرة للقارات، والهيئات الدولية، كالأمم المتحدة يستثمرها البعض ليعدّها خطوةً في الطريق المستقبلي نحو قيام الحكومة العالمية الواحدة والتي هي الهـــدف النهائي للعولمة السياسيـــة، في حين أن ما يجري يمثل موقف تلك الدول بكل سيادتها واستقلالها باتجاه التعاون في تناول قضايا مهمة تخص المجتمع الدولي وتعمل معـــاً من أجل حلها.

لقـــد أفرز الوضع الدولي الجديـــد عدة مفاهيم وتطورات من منظـــور عملية العولمة السياسية من أبرزها:

١ ـ توسع دور الولايات المتحدة الأمريكية على الصعيد العالمي، مما حـــدا بالبعض إلى اعتبار العولمة مرادفاً للأمركة، بمعنى سعي الولايات المتحدة الأمريكية إلى إعادة صياغة النظام العالمي طبقاً لمصالحها وتوجهاتها وأنماط القيم السائدة فيها.

٢ ـ إن القوة الاقتصادية والمالية التي تمثلها الشركات متعددة الجنسيات خاصة مع اتجاه بعضها نحو الاندماج والتكتل في كيانات أكبر، إنما تسمح لها بممارسة المزيد من الضغط على الحكومات وبخاصة في العالم الثالث، والتأثير في سياســـاتها وقراراتها السيادية، وليس بجديد القول إن رأسمال شركة واحدة من الشركات العالمية العملاقة يفوق إجمالي الدخل القومي لعشر أو خمس عشـــرة دولة إفريقية مجتمعة، وهو ما يجعل هذه الكيانات في وضع أقوى من الدول.

٣ ـ إن الدول الصناعية الغربيـــة وبعض دول العالم الثالـــث المصنعة حديثاً اتجهت نحو إقامة التكتلات الاقتصـادية الإقليمية وتدعيمها كجزء من استراتيجيتها لتتكيف مع عصر العولمة، كما هو الحال في التطورات التي لحقت بالمجموعـــة الاقتصادية الأوروبية، وكذلك بمبادرة الولايات المتحدة الأمريكية بتأسيس "النافاتا" التي تضم إلى جانبها كل من كندا

والمكسيك، كما حرصت دول جنوب شرق آسيا على تدعيم علاقاتها من خـــلال رابطة "الاسيان"، وإذا كان تعزيـــز التكتل الاقتصادي الإقليمي يمثل آلية مهمة لتمكين الـــــدول الأعضاء في تلك التكتلات من تعظيم فرص وإمكانيات استفادتها من إيجابيات عملية العولمة، وتقليص ما يمكن أن تتركه عليها من سلبيات، فإن الكثير من مناطق العالم الثالث تعاني من ضعف وهشاشة أطـــر وهياكل التكتل والتكامل الإقليمي بين دولها.

٤ ـ على الرغـــم من زيادة اهتمام الولايات المتحدة الأمريكية بقضية الديمقراطية وحقوق الإنسان في العالم على صعيد الخطـــاب السياسي الرسمي وبعض الممارسات العملية إلا أن السياسة الأمريكية تتعامل مع هذه القضية بنوع مـــن البراغماتية والانتهازية السياسية التي تتجلى أبرز صورها مع المعايير المزدوجة التي تطبقها بهذا الخصوص، وعـــدم ترددها في التضحية بقيم الديمقراطية ومبادئ حقوق الإنسان في حالة تعارضها مع مصالحها الاقتصادية والتجارية، وهكذا يتبين لنا أن أمريكا لا تتبنى قضية الديمقراطية وحقوق الإنسان كرسالة أخلاقية عالمية بل تتخذها كأداة لخدمة مصالحها وسياستها الخارجية.

٥ ـ إن القوة العظمى الوحيدة في عالم ما بعد الحرب الباردة، وهي الولايات المتحدة الأمريكية تعمد إلى استخدام قواتها ونفوذها لتوظيف الأمم المتحدة

ومؤسسات التمويل الدولية مثل صندوق النقد والبنك الدوليين من أجل تحقيق مصالحها ومصالح حلفائها الغربيين بصفة عامة.

٦ ـ إن فرص وإمكانيات تحقيق المزيد من الاستقرار في النظام العالمي في عصر العولمة تبدو بصفةٍ عامةٍ محدودة، فالتأثيرات القائمة والمحتملة للعولمة على بلدان العالم الثالث وبخاصة فيما يتعلق بتهميش بعض الدول، وتوسيع الهوة بين الشمال والجنوب، واستمرار تفاقم بعض المشكلات التي يعاني منها العالم الثالث، نظراً لذلك فـــإن بعض مناطق الجنوب ستبقى رهينة للحروب الداخلية والإقليمية التي يمثل بعضها عناصر لعدم الاستقرار في النظـــام العـــالمي.

اذن فإنَّ تأثير العولمة على سيادة الدولة يتمثل في تناقص قدرات الـــدول تدريجياً بدرجات متفاوتة فيما يتعلق بممارسة سيادتها في ضبط عمليات تدفق الأفكار والمعلومات والسلع والأمـــوال والبشر عبر حدودها، فالثورة الهائلة في مجالات الاتصال والمعلومات والإعلام حدّت من أهمية حواجز الحدود والجغرافية، كما أنَّ قدرة الدولة سوف تتراجع إلى حدٍّ كبيرٍ خاصة في ظلِّ وجود العشرات من الأقمار الصناعية التي تتنافس على الفضاء، كما أن توظيف التكنولوجيا الحديثة في عمليات التبادل التجاري والمعاملات المالية يحد أيضاً من قدرة الحكومات على ضبط هذه الأمور، مما سيكون لـــه تأثير بالطبع على سياساتها المالية والضريبية وقدرتها على محاربة الجرائم المالية والاقتصادية.

فالعولمة إذن نظام يقفز على الدولة والوطن والأمة، العولمة تقوم على الخصخصة، أي: نزع ملكية الأمة والوطن والدولة ونقلها إلى الخواص في الداخل والخارج، وهكذا تتحول الدول إلى جهاز لا يملك ولا يراقب ولا يوجّه، وهذا سيحقق إيقاظ أطر للانتماء سابق على الأمة والدولة هي القبيلة والطائفة والتعصب المذهبي... الخ، والدفع بها إلى التقاتل والتناحر والإفناء المتبادل، وإلى تمزيق الهوية الثقافية الوطنية والقومية... إلى الحرب الأهلية.

ونظراً للقوة الاقتصادية والماليـــــة التي تمثلها الشركات متعددة الجنسية يجدر التذكير ببعض الآثار السياسية والأمنية لهذه الشركات على الدول:

١ ـ ممارستها للأدوار المختلفة التأثير على السياسات الوطنية للدولة المضيفة.

٢ ـ إن هذه الشركات تمثل جـــزاء منها في عملية صنع السياسة الخارجية لدولها.

٣ ـ تكرار التهديـــدات التي تمارسها حكومات هذه الشركات ضد الدول المضيفة والناجمة عن عزم تلك الحكومات على تطبيق قوانينها الخاصة على هذه الشركات مما يعد تدخلاً في الشؤون الداخلية للدول المضيفة.

٤ ـ استهداف الأنظمة السياسية المناهضة لسياسات حكومـــات الشركات أو الســـعي إلى المحافظة على أنظمة سياسية معينة وتثبيتها في السلطة.

وعلى الرغم من القيود التي تحاول العولمة فرضها على الدولة القومية لتحد من قدرتها على ممارسة سيادتها بالمعنى التقليدي، وعلى الرغم من أن الدولة لم تعد هي الفاعل الوحيد أو الأقوى في النظام العالمي، إلا أنه لا يوجد ما يدل على أن هذه التحولات ستؤدي إلى إلغاء دور الدولة، أو خلق بديل لها حيث سيبقى للدولة دور مهم في بعض المجالات وبخاصة في بلدان العالم الثالث.

مواجهة العولمة:

العولمة ليست قدراً محتوماً لا يمكن الخلاص منه، ولا قانوناً تاريخياً تخضع له كل الشعوب، فالتاريخ ليس مجرد قانون موضوعي، إنما يتعامل هذا القانون مع حرية الأفراد وعمل الجماعات، فالعولمة هي جزء من جدل التاريخ، وإن أحد أطراف الصراع له خصوصيته وإرادته الوطنية المستقلة وقراره المستقل ولذلك فإنَّ مواجهة العولمة تتجسد بالآتي:-

١-الإرادة الوطنية المستقلة للشعوب والتمسك بنتائج الاستقلال الاقتصادي بعد عصر التحرر من الاستعمار، كنموذج الصين وكوبا وفيتنام.

٢-إن ظاهرة العولمة لا يمكن إيجاد حلٍّ لها بصورة ناجحة ضمن حدود بلدٍ واحدٍ او مجتمعٍ واحدٍ او أمةٍ واحدةٍ الّا من خلال الدعوة الى إيجاد حلٍّ من خلال تجمع بين هذه الدول على المستوى العالمي او الإقليمي، أي: عن طريق التجمعات الإقليمية القادرة على الوقوف أمام الدول الصناعية وعلى غرار الوحدة الأوروبية او استغلال إمكانات السوق العربية المشتركة وتدعيم هذه السوق.

٣-تكوين قطبٍ ثانٍ في مواجهة القطب الواحد؛ لكي ينشأ تطور متكافئ، وخلق منافسة قوية بين الأقطاب.

٤-التعددية القطبية والمعني بها الهيكلية الديمقراطية متعددة الأقطاب في العلاقات، ولكن هذا الخيار حاولت الإمبريالية وتحاول تقويضه ولو بشكل مؤقت.

٥-اعتماد الرؤية الاستراتيجية للحكومات والقيادات السياسية للدول التي تواجه خطر العولمة ومنها الدول العربية وتشكيل فرق متخصصة لدراسة الرؤى المستقبلية للمنطقة العربية.

٦-اعتماد أطر مؤسسية مترابطة تسمح بقيام إطار منظومي متشابك، وتكامل الحلقات بين اجهزة البحث والتطور الثقافي ومؤسساته وبين الصناعة والتبادل التجاري.

٧- التنسيق بين أجهزة النظام العلمي للدول الإقليمية وتبادل الخبرات في هذا المجال الحيوي.

٨- مسايرة التغيرات التنظيمية والتقنيات الإدارية الحديثة لخدمة الإدارة على صعيد الوحدة الاقتصادية لمواكبة التطورات الحديثة في مجال ثقافة المعلومات.

---

١. العولمة، عبد الأمير شمخي الشلاه، رؤى تحليلية نقدية.
٢. إسماعيل صبري عبد الله، العرب والعولمة.
٣. د. محمد أحمد السامرائي، العولمة السياسية ومخاطرها على الوطن العربي.
٤. بشير البحراني، فقه العولمة دراسة إسلامية معاصرة.
٥. حقوق الإنسان من العالمية الإنسانية والعولمة السياسية، باسيل يوسف: ١٧
٦. د. حاكم محسن محمد، العولمة بين الحتمية والخصوصية الوطنية.
٧. حنفي والعظم، حسن، جلال صادق، ما العولمة.

ذاكرة الأُمم

التعليم الحكومي في النجف الأشرف (١٩٢١-١٩٥٨) -قراءة تاريخية

م.م حنان محمد عبد الزهرة ياسر
جامعة الكوفة - المكتبة المركزية

التعليـم الحكومـي في النجـف الأشـرف (١٩٢١-١٩٥٨) - قراءة تاريخية

م.م حنان محمد عبد الزهرة ياسر
جامعة الكوفة - المكتبة المركزية

شـهدت مدينـة النجـف الأشرف خـلال العهد الملكـي في العراق تطـوراً ملحوظاً في مجـال التعليم، حيـث كانت المـدارس الحكومية تمثل إحـدى ركائز النهضـة الثقافيـة والاجتماعيـة التي شـهدتها البلاد. باعتبـار النجـف مركـزاً علميـاً ودينيـاً مهـماً، لعبت هـذه المـدارس دوراً محورياً في نـشر التعليم الحديث بجانـب الحـوزة العلميـة، عـلى رغـم التحديـات التـي واجهـت التعليـم الحكومـي آنذاك، مثـل قلة المـوارد والبنيـة التحتيـة، إلاّ أنْ الجهـود المبذولـة مـن قبـل الحكومـة الملكيـة والمؤسسـات المحليـة أسـهمت في تأسـيس نظـام تعليمـيٍّ حديـثٍ في المدينـة، ممـا انعكس عـلى مسـتوى الوعـي والمعرفة بـين الأجيال الناشـئة. في هـذا المقال، سنسـتعرض واقـع المـدارس الحكوميـة في النجـف الأشرف خـلال العهـد الملكـي، ودورهـا في تشـكيل الهويـة الثقافيـة والتعليميـة للمدينـة.

التعليم قبل العهد الملكي

كان التعليـم في النجـف قبـل العهـد الملكـي يتمحـور بشـكلٍ أسـاس حـول الحـوزة العلميـة وبـرزت كمركـزٍ علمـي عالمـي لجـذب الطـلاب والعلـماء، وكان التعليـم الحـوزوي يعتمـد عـلى دراسـة العلـوم الدينيـة مثـل الفقـه، الأصـول، التفسـير، الحديـث، إضافـة إلى العلـوم العقليـة كالفلسـفة و المنطق .

لم تكـن هنـاك مؤسسـات تعليميـة حكوميـة بالمعنـى الحديـث قبـل العهـد الملكـي، بـل كانـت المـدارس التقليديـة تُعـرف بـ"الكتاتيـب"، إذ يتعلم الأطفـال مبـادئ القـراءة والكتابـة وحفـظ القـرآن الكريـم، وهـي كثيرة العـدد نظـرا لقلـة المـدارس إذْ قُـدِّرت أواخـر العهـد العثـماني ب(٤٠٠)، امـا المـدارس الدينيـة والتـي تعـرف بالمـدارس العلميـة كانـت على شـكل حلقـات دراسـية داخل الجوامـع والمسـاجد حـول المعلـم (الشـيخ) الـذي يحمـل إجـازة بالتدريـس من المدرسـين السـابقين، وتوسـعت هـذه المـدارس حتـى قيـل إنْ كُلّ جامعٍ أو مسـجدٍ كان مدرسـة دينيـة وقـد خرجـت هـذه المـدارس مدرسـين وقضـاة وخطبـاء ونوابًـا[١].

توالـت المـدارس الحكومية حتى بلغـت عدداً لا يسـتهان بـه أواخر العهـد العثـماني، إلاَّ أنّ مسـتوى التدريـس فيهـا متـدنٍ فضـلاً عـن كونهـا ذات تمييز طائفي، إذْ لم يسـتطع الشيعة إرسـال أولادهم إليها، كـما كانت باللغة التركيـة[٢]، وبعد احتـلال بريطانيا العـراق واسـتلام الإدارة فيه، وأثنـاء حكمها لم تعر التعليـم أي اهتمام[٣].

التعليم في العهد الملكي

أ- التأسيس والتطوير

اعتـادت الأسر النجفيـة تعليـم أبنائهـا القـراءة والكتابـة في المنـازل، والبعـض كان يرسـل أبنـاءهُ الى الكتاتيـب في المسـاجد يعلمهـم معلـم يسـمى الملّا، كـما كانـوا يحرصـون عـلى تعليـم الفتيـات مبادئ الإسـلام في البيـوت ويكون الملّا مـن أفراد الأسرة الاخريـن، فتتعلـم الفتـاة القـراءة والكتابـة والقـرآن ثـم تتلقـى بعـض مسـائل الفقـه[٤].

أمـا المـدارس الرسـمية فـلا توجـد مدرسـة رسـمية في النجف قبـل عـام ١٩١٨ إذْ تأسسـت في هـذه السـنة أول مدرسـة ابتدائية اطلـق عليهـا اسـم (المدرسـة الأميريـة الأولى) وتـم تغيـير اسـمها لاحقـا الى (الغفـاري)، وفي عـام ١٩٢٢ تـم تقديـم طلـب بانشـاء مدرسـة خاصـة وتمـت الاجـازة وسـميت بمدرسـة الغـري الاهليـة[٥].

اولا – المدارس الابتدائية

١- مدرسة غازي:

تأسسـت عـام ١٩٢٦ وسـميت بمدرسـة غازي وتغير اسـمها وسـميت بالنضال بعـد ١٤ تمـوز ١٩٥٨، وتقع في منطقـة الجديدة الثانيـة مكونـة مـن طابـق واحـد وعـدد صفوفهـا ١٢ وسـاحة داخليـة لنشـاطات الطلبـة وجنـاح الإدارة ودورات ميـاه[٦].

٢- المدرسة الابتدائية لبنات الموظفين

دعـا مجموعـة مـن الرجـالات في النجـف الى ضرورة تعليـم البنـات لإنشـاء جيـلٍ مـن المتعلـمات يُسـهمن في تقـدم المجتمـع ابرزهـم الشـاعر محمـد مهـدي الجواهـري، وعيسـى كـمال الدين، ومحمـد عـلي كـمال وغيرهـم، وقـد نجحـوا في تأسـيس مدرسـة للبنـات عام ١٩٢٩ عرفت بالمدرسـة الابتدائيـة لبنات الموظفين[٧].

٣- مدرسة قبة الصخرة الابتدائية للبنات:

تـم تأسـيس هـذه المدرسـة عـام ١٩٣٢ في الجديـدة الأولى وسـميت بهـذه الاسـم نسـبة الى الصخـرة التـي عـرج منهـا النبي

محمد ﷺ وعدد صفوفها ١٥ صفًّا[٨].

٤- المدرسة الحيدرية:

تأسست سنة ١٩٣٣ وهي ابتدائية للبنين، تقع في محلة الجديدة الأولى وتتكون من ١٥ صفاً[٩].

٥- المدرسة الزينبية الابتدائية للبنات

تأسست هذه المدرسة عام ١٩٣٧ سميت تيمنا باسم العقيلة زينب الحوراء عليها السلام وتتكون من ١٢ صفاً موزعة على طابق واحد[١٠].

٦- مدرسة السلام: عام ١٩٤٦ تم افتتاحها أول الأمر في بيت يقع في طرف الحويش، ثم انتقلت الى بناية مطلة على سور النجف الأخير[١١].

وفي عام ١٩٥١ تم إلحاق المدارس الابتدائية بالإدارة المحلية، واستناداً إلى ذلك شرع مجلس لواء كربلاء في ٢٦ اذار ١٩٥٢ مناقشة بنود ميزانية التعليم الابتدائي، وقام بإضافة اجنحةٍ جديدةٍ لمدرستي السلام الابتدائية للبنين ومدرسة غازي، وتم تأسيس مدرسة التهذيب الابتدائية للبنين، كما أقام مجلس لواء كربلاء مشروع تغذية الطلاب واكسائهم، وهذه التجربة زادت من اقبال الطلبة على الدراسة اذ ساعد المشروع الفقراء بالحاق أبنائهم بالمدارس[١٢].

ومن المدارس الابتدائية الخاصة بالبنات مدرسة الفاطمية ومدرسة سكينة ومدرسة العصمة ثم مدرسة الخنساء .

ثانيا – المدارس الثانوية:

١- ثانوية النجف:

بدأ التعليم الثانوي في النجف خلال (١٩٢٦ـ ١٩٢٧) بعد مطالبات أهالي النجف بفتح المدرسة الثانوية وتم قبول ١٥ طالبا فيها، وفي السنة التالية أصبح عدد طلابها ٩٠ طالبا، وهي خامس ثانوية في العراق وأول مدرسة ثانوية في النجف، وفي عام ١٩٣٣ تحولت الى ثانوية واصبحت تعرف بثانوية النجف[١٣] وبعد ازدياد عدد طلابها وتوسع صفوفها قسمت في عام ١٩٥٢ على قسمين "اعدادية النجف" والثاني "متوسطة النجف" فضلا عن مدارس أخرى قد تأسست في عام ١٩٥٢ وموقعها في شارع الخورنق في طرف البراق، وفي ذات العام تأسست مدرسة السدير و سميت نسبة الى قصر السدير كما كان في عام ١٩٤٢ تأسيس ثانوية النجف (اعدادية النجف)[١٤].

ب- المناهج التعليمية

عند دراسة توزيع الدروس في المدارس الابتدائية الرسمية، يتضح غياب الدروس العملية واعتماد المنهج بشكل كبير على الدروس النظرية، بالإضافة إلى ازدحامه بالمفردات الدراسية، فالطالب في الصفين الخامس والسادس يتلقى أسبوعياً (٣٦) ساعة دراسية موزعة كالتالي: ٣ ساعات للديانات، ٦ ساعات للغة العربية، ساعتان للأشياء والصحة، ٥ ساعات للحساب والهندسة، ٩ ساعات للغة الإنجليزية، ٤ ساعات للجغرافيا والتاريخ، و٦ ساعات موزعة على الرسم، الرياضة البدنية، والنشيد. أما الأعمال اليدوية، فتُخصص لها ساعة واحدة فقط للبنات. هذا التوزيع المكثف يؤدي إلى إجهاد التلاميذ ذهنياً وجسدياً بسبب كثرة المواد وطول اليوم الدراسي[١٥].

التحديات التي واجهها التعليم الحكومي

مع مجيء العهد الملكي ١٩٢١ ظهرت دعوات الملك فيصل نحو الاهتمام بالتعليم، إلّا أنّ هذه الدعوات لم تسفر عن اية نتائج والسبب يعود الى:

١- عدم استقرار الحكومات، فبعض الوزارات استمرت لشهرين او ثلاثة أشهر أو ستة أشهر، فعلى سبيل المثال لا الحصر في عام ١٩٣٢ جرى تغيير مديري المعارف العراقية ١٨ مرة.

٢- صراع الكتل السياسية العراقية والأجنبية التي تحاول جاهدةً السيطرة على التعليم والمعارف، نظراً لأهميتها.

٣- عدم وجود خطط موضوعية لمعالجة المشاكل التربوية وتبدل الوزرات المستمر.

٤- استغلال ميزانية المعارف وصرف أموالها في غير موقعها من قبل المستشارين والموظفين البريطانيين في دعم المدارس التبشيرية والاديرة والكنائس.

٥- اختلاف آراء وأفكار وزراء المعارف حيال منهج الوزارة في التربية والتعليم، وظهور انفراد الرأي العام خلال مناقشات مجلس الوزراء، الامر الذي يؤدي الى عدم الاستقرار في المنهج التعليمي[١٦].

وقد تأثر التعليم في العراق بالحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ إذ قلَّتْ عوائد العراق النفطية وبالتالي قلَّ الانفاق على التعليم، غير أنّها انتعشت في السنوات اللاحقة، كما عانى العراق من مشكلة الأميَّة وقد جرت المحاولة للقضاء على هذه المشكلة من خلال تنظيم محاضراتٍ مخصصةٍ لذلك غير أنَّ قيام الحرب العالمية الثانية حال دون حلّ تلك المشكلة آنذاك[١٧].

---

١. احمد فكاك البدراني، التعليم في العراق أبّان العهد الملكي، مجلة، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، المجلد ١١، العدد ٤ ٦٩٦ـ٦٩٧.

٢. فيليب ويلارد ايرلاند، العراق دراسة في تطوره السياسي : ٨٨.

٣. كروتيد بيل، فصول من تاريخ العراق القريب:١٠.

٤. محمد باقر احمد البهادلي، الحياة الفكرية في النجف الاشرف، (٢٠٠٤)، ص١٠٨.

٥. بنين عودة عبد، تطور المؤسسات الخدمية في النجف في العهد الملكي (١٩٢١-١٩٥٨) دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير، (جامعة الكوفة: كلية التربية للبنات، ٢٠٢١):٥٣.

٦. المصدر نفسه ص٦٠.

٧. علي الخاقاني، شعراء الغري: ٧/ ٢٧٨.

٨. بنين عودة عبد، المصدر السابق، ص ٦٢.

٩. المصدر تفسه.

١٠. المصدر نفسه: ٦٣.

١١. حسن عيسى الحكيم / المصدر السابق ج١٦، (قم: مطبعة شريعت، ١٤٢٨ هـ): ٣٥٤ .

١٢. حيدر سعد جواد الابراهيمي و بنين عودة عبد، التعليم الحكومي في النجف الاشرف ١٩٤٦ ـ ١٩٥٨، مجلة، مجلة. دراسات الكوفة، العدد ٧٤ تاريخ ٢٠٢٤، ص١٨٨ ـ ١٩١ .

١٣. حسن عيسى الحكيم، المصدر السابق: ٣٦٦ـ٣٦٧.

١٤. المصدر نفسه: ٣٧٠ .

١٥. زينب هاشم جريان، التعليم النسوي في العراق ١٩٢١ ـ ١٩٥٨ دراسة تاريخية ، رسالة ماجستير، (جامعة بغداد: كلية التربية للبنات، ٢٠١٣): ٥٠ .

١٦. سالم هاشم عباس أبو دله، التعليم والمعارف خلال الحقبة الزمنية ١٥٣٤-١٩٣٣، مجلة، مجلة اهل البيت، العدد ٢٢: ٢٦٩-٢٧٠.

١٧. مسارع حسن الراوي وقمر الدين قرنبع، قراءات في محو الامية، :٢١٨ـ٢٢٠.

فتح مكة

في العشرين من شهر رمضان سنة ٨هـ كان فتح مكة[١]، وسبب الغزوة أنَّ رسول الله ﷺ كان قد هادن قريشاً في عام الحديبية عشر سنين وجعل خزاعة داخلةً معه، وجعلت قريش بني بكر بن عبد مناة من كنانة داخلةً معهم، وكان بين بني بكر وخزاعة تراتٌ في الجاهلية ودماء... فلما تم الصلح وأمن الناس سمع غلام من خزاعة إنسانا من بني كنانة ينشد هجاء رسول الله ﷺ، فضربه فشجّه... فثار بينهم الشر وتذاكروا أحقادهم القديمة فاستنجدت بكر بن عبد مناة قريشاً على خزاعة، فكان من قريش من كره ذلك وقال: لا انقض عهد محمد، ومنهم من خفّ اليه ودسّوا اليهم الرجال والسلاح سرّا، وبيتوا خزاعة ليلا فأوقعوا بهم، فقتلوا منهم عشرين رجلا... وشخص قوم من خزاعة الى المدينة مستصرخين برسول الله ﷺ، فدخلوا عليه وهو في المسجد... ثم ذكروا له ما اثار الشر... فقام رسول الله ﷺ مغضبا يجرّ رداءهُ ويقول: (لا نُصرتُ إن لم أنصر بني كعب - يعني خزاعة فيما انصر منه نفسي)[٢].

فخرج من المدينة بالناس يوم الأربعاء لعشرٍ خلون من شهر رمضان في عشرة آلاف، وعقد للمهاجرين ثلاثة ألوية: لواء مع أمير المؤمنين علي عليه السلام ولواء مع الزبير ولواء مع سعد بن أبي وقاص، وكتم عن الناس الخبر فلم يعلم به إلا خواصه.

ثم دخل رسول الله ﷺ مكة، وضُربتِ هناك خيمته، وبعث سعد بن أبي عبادة في كتيبة من الأنصار في مقدمته وأمر خالد بن الوليد فيمن كان اسلم من قضاعة وبني سليم وأمره أنْ يدخل اسفل مكة ويغرز رايته دون البيوت. وامرهم جميعا أنْ يكفّوا ايديهم ولا يقاتلوا إلاَّ من قاتلهم.

وسعى ابو سفيان الى رسول الله ﷺ واخذ غرزه فقبّله وقال: بأبي انت وأمي، أما تسمع ما يقول سعد! انه يقول:

اليوم يوم الملحَمة اليوم تُسبى الحُرَمة

فقال ﷺ لعلي عليه السلام: أدركهُ فخذ الراية منه، وكُنْ أنت الذي يدخل بها، وادخلها إدخالا رفيقاً فأخذها علي عليه السلام وادخلها كما امره الرسول ﷺ بذلك.

ولما دخل رسول الله مكة دخل صناديد قريش الكعبة وهم يظنون أنَّ السيف لا يرفع عنهم فأتى رسول الله ووقف قائماً على باب الكعبة فقال: لا اله الا الله وحده، انجز وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، إلا إنَّ كُل مال ومأثرة ودم يُدعى تحت قدمي هاتين إلا سدانة الكعبة وسقاية الحاج فأنهما مردودتان الى أهليهما إلا أنَّ مكّة محرمةٌ بتحريم الله لم تحلّ لأحدٍ كان قبلي، ولم تحلَّ لي إلّا ساعةً من نهار، وهي محرمة الى ان تقوم الساعة[٣]... وأمر النبي ﷺ عليا عليه السلام بوضع رجله على كتفه ﷺ ورفعه لكسر أصنام الكعبة[٤].

١- سيرة ابن هشام: ٤/ ٨٨٩
٢- شرح نهج البلاغة - ابن ابي الحديد ١٧ / ٢٦٢
٣- مجمع البيان: ١٠/ ٤٦٨
٤- بحار الانوار: ٩٧/ ٣٨٤

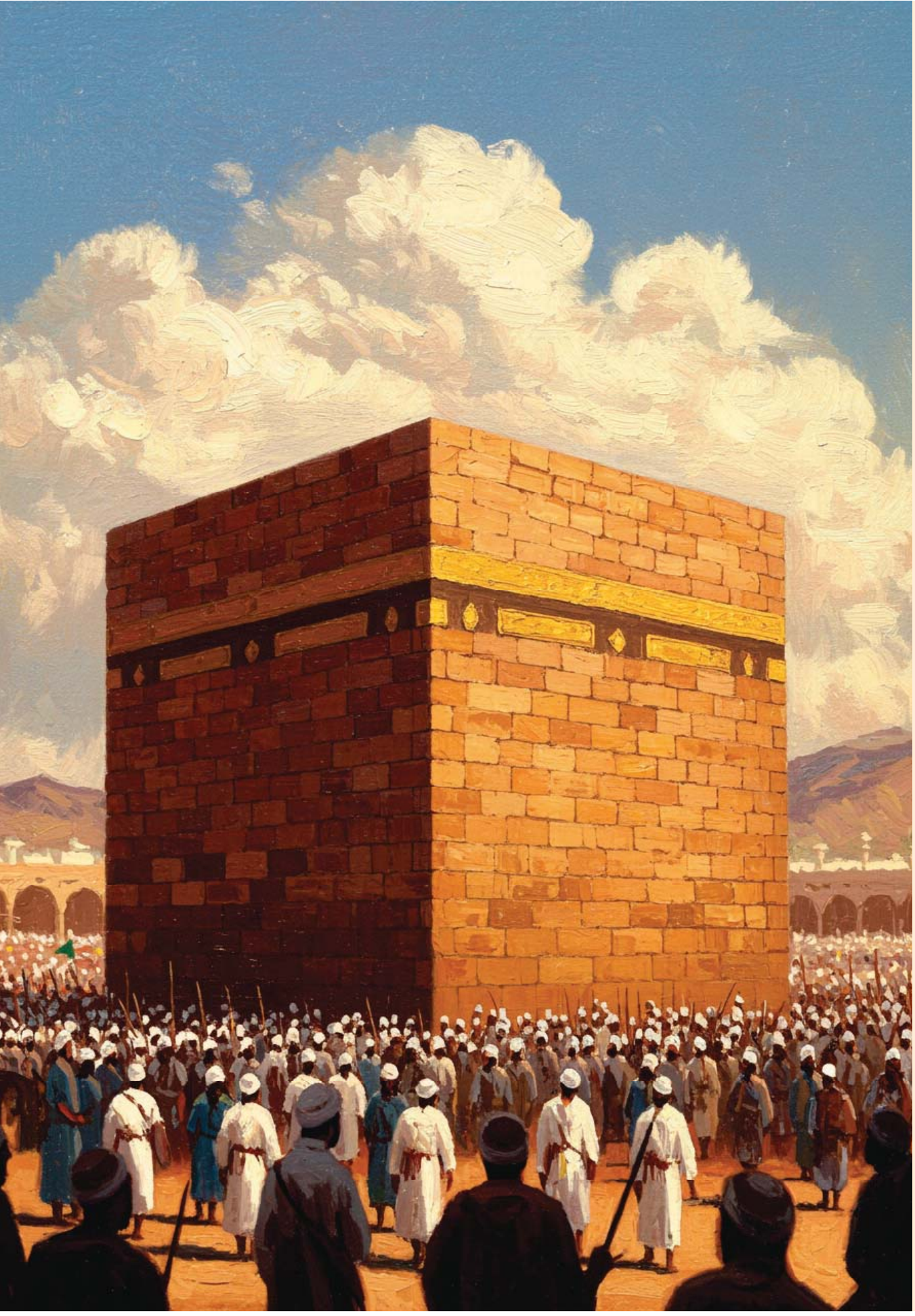

تراث مكتبة الروضة

- كتب نادرة ونفيسة في مكتبة الروضة الحيدرية
- فوائد تراثية في فهرسة الخزانة العلوية

أحمد علي الحلي

كتب نادرة ونفيسة في مكتبة الروضة الحيدرية

عنوان الكتاب: (مصباح الساري ونزهة القاري)
المؤلف: إبراهيم أفندي الطبيب الأول للعساكر الشاهانية في مدينة بيروت.
سنة الطبع: طبع الكتاب على نفقة المؤلف سنة ١٢٧٢هـ، وخاتمة الطباعة سنة ١٢٧٨هـ.

هناك عدة معايير لوصف كتابٍ ما بأنه نادر، فالكتاب النادر هو الذي يحمل خصائص ومميزاتٍ تختلف عن أقرانه من النسخ من المخطوطات والمطبوعات، وقد يتميز الكتاب المطبوع بخصوصيةٍ نادرةٍ تخرجه من حيز العموم الى حيز الندرة والخصوص والاهتمام، وتعتمد الندرة والخصوصية في المناطق العربية والإسلامية على أمور منها: أن تكون طباعته في أحد المطابع القديمة المشهورة، أو يحمل تاريخاً يتجاوز القرن (مائة عام) أو أكثر، أو يحمل تملكاً أو إهداء من الشخصيات العلمائية، او توجد حواشٍ وتعليقات إضافية على حاشية الكتاب، أو مؤشر يدل على ذلك.

ويعد هذا الكتاب من النوادر من حيث تاريخ الطباعة، حيث تعود طباعته إلى سنة ١٢٧٢ هـ ما يوافق سنة ١٨٥٦م ،بالإضافة الى كونها الطبعة الأولى في المطابع الحجرية في بيروت، وقد تميزت بالطباعة الفاخرة ونوعية الورق والزخرفة، كما يُعد هذا الكتاب من الكتب القيمة والمهمة في مجال سرد الوقائع والأحداث التاريخية في أيام الدولة العثمانية، حيث يتطرق لأحوال الامراء والسلاطين العثمانية والحياة المعيشية في كل من مصر وتركيا والقسطنطينية في الحقبة .

يحمل الكتاب تملّك شراءٍ مع ختم محمد هادي بتاريخ ١٣١٩ هـ، وتملكاً آخر للشيخ عبد الواحد المظفر وأهدي الى العتبة العلوية المقدسة.

فوائد تراثية في فهرسة الخزانة العلوية

أحمد علي الحلي

بفضل من الله تعالى وببركة الامام أمير المؤمنين عليه السلام وفقت لفهرسة خزانة العتبة العلوية، فمن بين النسخ التي فهرستها مجموعة للسيد حسين البراقي (ت: ١٣٣٢هـ)، فيها نسختان، الأولى (عقد اللؤلؤ والمرجان – والعقيان – في تحديد أرض كوفان ومن سكن فيها من القبائل والعربان)، والثانية رسالة مختصرة في تاريخ الحنانة.

الذي وقعت عليه من خلال الرجوع لكتاب الذريعة، وكتاب (قلم لم يمت) المختصر الوافي بترجمة السيد البراقي، والمطبوع من الكتاب الأول، فوجدت فوائد تراثية مهمة منها أنه:

١- الكتاب ليس مختصرًا لكتابه المبسوط (البقعة البهية فيما ورد في مبدأ الكوفة الزكية)، كما ورد في الذريعة وقلم لم يمت، وإنما هو رسالة

أخرى ضمّن زيادة عما في كتابه المبسوط عن الكوفة.

٢- إن ما في النسخة يختلف تمامًا عن المطبوع بالعنوان نفسه، والمحقق بتحقيق الدكتور حسن الحكيم، والدكتور الشيخ علي المظفر عام ٢٠٠١م.

٣- إن النسخة التي فهرستُها فيها تاريخ الفراغ من التأليف سنة ١٣٢٦هـ، غير مذكور عند تعريف الكتاب فيما ذكرت في المطبوع المحقق منه.

٤- هنالك أخطاء عديدة في الذريعة عند تعريف الكتاب، في جعل العنوان الطويل للكتاب متعدداً، وأحسب ذلك الغلط وقع عند المباشر بطبع الكتاب، مثل:

أ.(قلائد الدرر)، (والعقيان فيما جرى في السنين من طوارق الزمان)، بينما هما عنوان طويل لكتاب واحد.

ب.(اليتيمة الغروية)، و(التحفة النجفية في الأرض المباركة الزكية)، بينما هما عنوان طويل لكتاب واحد.

٥.كتاب (البقعة البهية فيما ورد في مبدأ الكوفة الزكية) دوّن في الذريعة بعنوان (في مسجد الكوفة الزكية).

٦. إن تاريخ الحنانة غير مذكور في الذريعة، وفي قلم لم يمت، وهو غير كتابه (الدرة المضية في ذكر الحنانة والثوية)، وقد فرغ منه سنة ١٣٢٦هـ.

الذريعة
الى تصانيف الشيعة
تأليف
محمد محسن الشهير بآقا بزرك الطهراني
الجزء الثامن

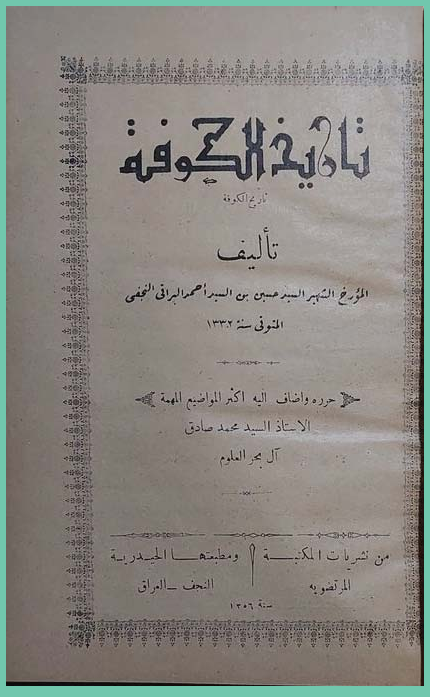
تاريخ الكوفة
تأليف
المؤرخ الشهير السيد حسين بن السيد احمد العراقي النجفي
المتوفى سنة ١٣٣٢
حرره واضاف اليه اكثر المواضيع المهمة
الاستاذ السيد محمد صادق
آل بحر العلوم
من نشريات المكتبة المرتضوية ومطبعتها الحيدرية
النجف العراق
سنة ١٣٥٦

لاذوا بالجـــوار

- السيد محمد حسين الكيشوان
  عالم كبير، وكاتب مبدع، وشاعر مشهور

السيد محمد حسين الكيشوان

عالم كبير وكاتب مبدع وشاعر مشهور

كاتب ضليع ومبدع في الشعر والنثر، ومن العلماء المحققين المشاركين في جملةٍ من العلوم، ومن شيوخ الأدب ونوابغ القريض، متفوق على جميع معاصريه، ذلك هو العالم والأديب والشاعر محمد حسين بن كاظم بن علي الموسوي الكيشوان.

النشأة والعطاء:

السيد محمد حسين بن كاظم بن علي الموسوي الكيشوان العالم الكبير والأديب والشاعر ولد في مدينة النجف الأشرف سنة ١٢٩٥هـ ونشأ بها، قرأ المقدمات الشرعية والأدبية على لفيفٍ من أهل العلم ومنهم الشيخ محمد آل عبد الرسول، ثم حضر الأبحاث العالية على أعلام عصره.

انصرف إلى التحقيق والتأليف فكتب في مختلف العلوم كالهندسة والكيمياء والتاريخ والفقه والأصول، وآثاره في الأدب بارزة، سافر إلى سوريا ولبنان، وبقي هناك سنوات أتصل خلالها بأعلام وأدباء، وله معهم مطارحات ومساجلات.

كان من العلماء المشاركين المحققين في جملةٍ من العلوم، وشيوخ الأدب، ونوابغ

القريض متفوقـــا على جميع معاصريه، وقد كان الســـيد الكيشـــوان رحمـــه الله تعالى خطاطـــاً بارعاً خبيراً أحيـــا الكثير مـــن الكتب النادرة بخطـــة الجميل.

امتاز بعـــدة مزايا منهـــا: أنه كان متين الخلـــق قوي القلب، نشر قدر المســـتطاع علمـــه فلم يبخل به على أحـــد على الرغم مـــن مضايقة الزمـــان له بضيق الحـــال، فضلا عـــن نكبته بفقد ولـــده البكر الشـــاعر جعفر الكيشوان.

مما قيل فيه:

السـيد محسـن الأمين في أعيـان الشـيعة:

العالم الشـــاعر الأديب المشـــارك في جملة فنون، لطيـــف الفكر عالي الطبع، قـــرأ العلوم العربيـــة والمنطق والأصول في مقتبل شـــبابه، وحضر تدريس جماعة مـــن العلماء الأعـــلام في الفقه.

ذكره صاحب الحصون فقال:

فاضل مشـــارك في العلـــوم، ســـابق في المنثور والمنظـــوم له فكرة تخرق الحجب، وهمة دوتها الشـــهب، وشـــعر يســـيل رقة، وخط يشـــبه العذار دقه، الى حســـن اخـــلاقٍ وطيب اعـــراقٍ، وحلو محاضرة مـــع الرفاق، ونســـك وتقى بعيـــد عن الريـــاء والنفاق، وله شـــعر كثير بديـــع التركيب.

وذكره الشيخ النقدي في الروض النضير:

من فضلاء العصر وشـــيوخ الأدب، لـــه إلمامٌ تـــامٌ بجملة العلوم وله تأليـــف في بعضها، ولد في النجف ونشـــأ فيها، ونظم الشـــعر ففـــاق أقرانه وشـــعره يجمع بـــين المتانـــة والرقة والانســـجام ومعظمه في مـــدح ورثاء أجـــداده المعصومين عليهم السلام.

فهو مـــن الأعـــلام المركزيـــن والفقهـــاء والمتبحريـــن والأدباء والمرموقـــين وآثاره تـــدلُّ على علو مقامه وســـعه علمـــه، وأخذ عليـــه كثيرٌ من الأعـــلام كثيراً مـــن العلوم تـــوفي في النجف عام ٣٥٦هـ.

وذكره الشيخ علي الخاقاني:

كاتب ضليع مبدع، برهن على قابليته في النثر عدمت عند اكثر معاصريه يأتي ثاني اثنين بعد الشيخ جواد الشبيبي.

وقال أيضا: شاعر من الطراز الأول بين معاصريه من أرباب الصناعة، جواد سباق خاض حلبات واسعة فكان الموفق في جميعها، وديوانه وقفت عليه فوجدته عامرا في قصائه ومشاركته بأدب الطف برهن انه من الممتازين في الرثاء.

نماذج من شعره:

من قصيدة في رثاء الامام الحسين عليه السلام :

لا صبر أو تجري على عاداتها ... خيل تشن على العدى غاراتها

وتقودها شعث الرؤوس شوائلا ... قب البطون تضج في صهلاتها

نشرت ذوائب عزّها وتخايلت ... تطوي على حرّ الظما مهجاتها

وتفيأت ظلل القنا وكأنها ... شجر الأراك تفيأت عذباتها

وتعانقت هي والسيوف وبعد ذا ... ملكت عناق الحور في جناتها

وتناهبت أشلاءهم قصد القنا ... ورؤوسهم رفعت على اسلاتها

وانصاع حامية الشريعة ضامئاً ... ما بل غلته بعذب فراتها

أضحى وقد جعلته آل امية ... شبح السهام رميَّة لرُماتها

حتى قضى عطشا بمعترك الوغى ... والسمر تصدر منه في نهلاتها

وجرت خيول الشرك فوق ضلوعه ... عدواً تجول عليه في حلباتها

ومخـدراتِ مــن عقـــائل أحمـد ... هجمـــت عليها الخيـــل في أبياتها
مـن ثاكـلٍ حـرى الفـــؤاد مروعةٍ ... أضـحت تجاذبهـــا العدى حبراتها
ويتيمـــةٍ فزعـت لجســـم كفيلها ... حســـرى القنـــاع تعجُّ في أصواتها
أهـوت علـــى جسم الحسين وقلبها ... المصـــدوع كاد يذوب من حسراتها
وقعـت عليـــه تشـمّ موضـع نحـره ... وعيونهـــا تنهـــل فـــي عبراتها

آثاره القيمة:

للسيد الكيشوان آثارٌ قيمة نذكر منها:

-تحفة الخليل في العروض والقوافي.

-علم الجبر.

-ديوان شعره.

- منهـــج الراغبين في شرح تبـــصره المتعلمين في الفقـــه بجزئين.

-رسالة في الحساب والهندسة.

-منظومة في علم الحساب.

- جميع الكسور وتضعيفها

- الأربعة المتناسبة في الجبر والمقابلة في الجمع.

- منظومة في الهندسة .

وفاته:

توفي الســـيد محمد حســـين الكيشـــوان رحمه الله تعالى في مدينة النجـــف الاشرف ٢٨ ذي القعدة ســـنة ١٣٥٦هـ ودفـــن بالصحن الشريف.

١- علي الخاقاني، شعراء الغري: ٨/ ٣
٢- محسن الأمين، أعيان الشيعة: ٩/ ٢٧٧.

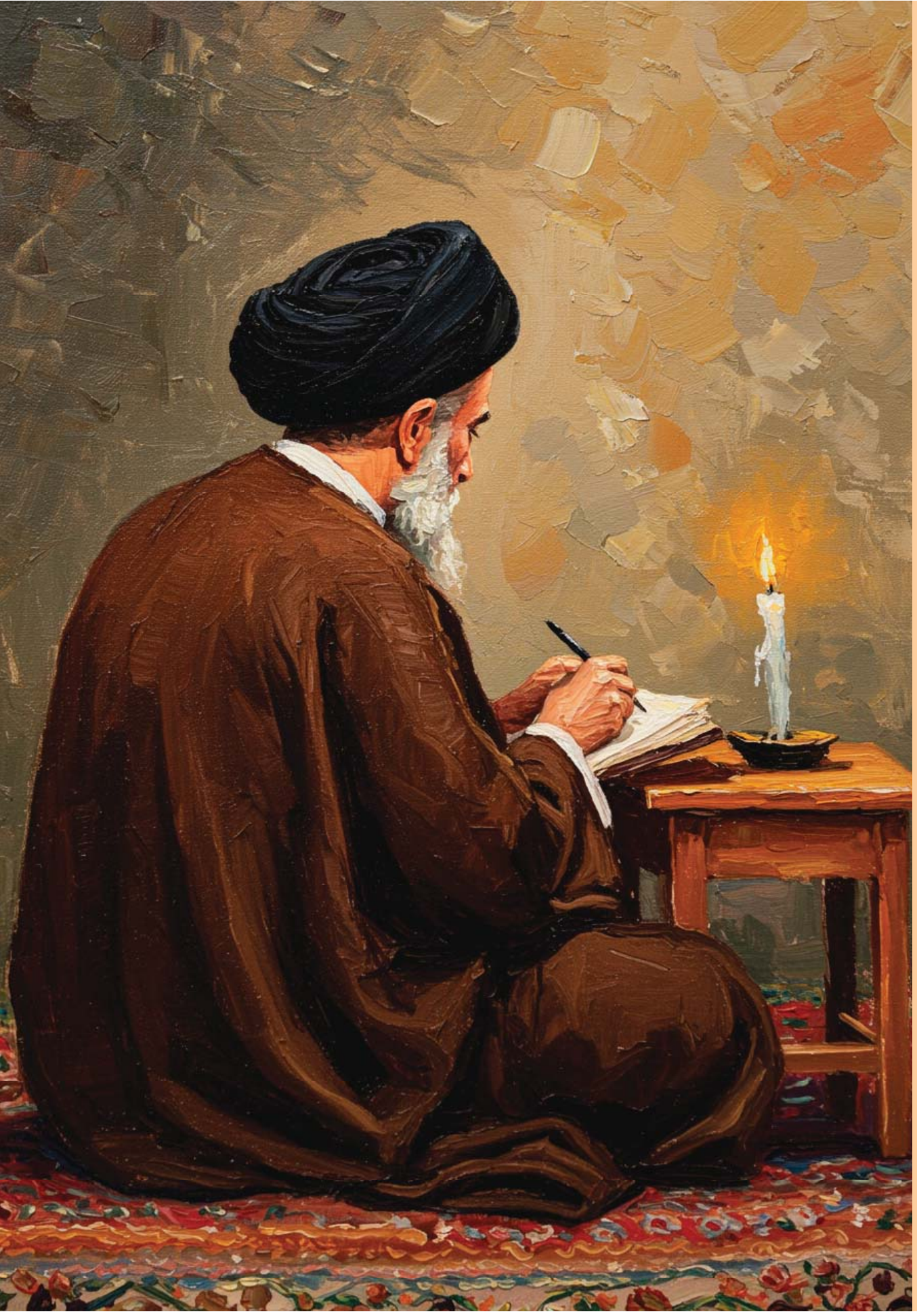

قسم الشؤون الفكرية والثقافية يُصدر دليل الرسائل والأطاريح الجامعية حول نهج البلاغة..

ضمن نشر فكر وتراث الامام أمير المؤمنين عليه السلام أصدر قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العلوية المقدسة كتاب جديد بعنوان (دليل الرسائل والاطاريح حول نهج البلاغة في الجامعات الإيرانية) والكتاب من إعداد الأستاذ سلمان حبيب البابلي، وترجمة كل من الأستاذ عبد الرحيم مبارك ، والأستاذ حسن الصراف، وقد بذل الكاتب جهودا واضحة في جمع الرسائل والاطاريح من الجامعات الإيرانية التي اختصت حول مواضيع نهج البلاغة، فقد جمع الباحث أكثر من (١٦٠٠) عنوان للرسائل الجامعية المدونة وعرضها ببليوغرافيا، وقد حدد الباحث الفترة التي اختار بها أهم الرسائل والاطاريح الجامعية حول نهج البلاغة في الجامعات الإيرانية حتى العام ٢٠١٦م؛ لذا استأثر الكتاب اهتمام قسم الشؤون الفكرية والثقافية لما فيه مادة علمية ببيلوغرافية مهمة تفيد الباحثين في معرفة العنوانات المهمة التي كُتبت عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام سيما نهج البلاغة في الجامعات الإسلامية ليكون دليلا نافعا للباحثين الجدد في المعرفة العلمية ومعرفة الدراسات السابقة لاجتناب التكرار وتقديم دراسات أكاديمية حديثة .

مسابقة العدد 188

مسابقة خاصة بهذا العدد يمكنكم الاشتراك فيها إلكترونياً
عبر مسح الباركود.

علمًا إن أجوبة الأسئلة تجدوها في مقالات هذا العدد

آخر موعد للمشاركة يـوم 15 شوال

هناك هدايا مالية لثلاثة فائزين

تعلـن أسمـاء الفائزيـن في
المسابقة عبر قناة مجلـــة
الولايـــــة في التلكـــرام